

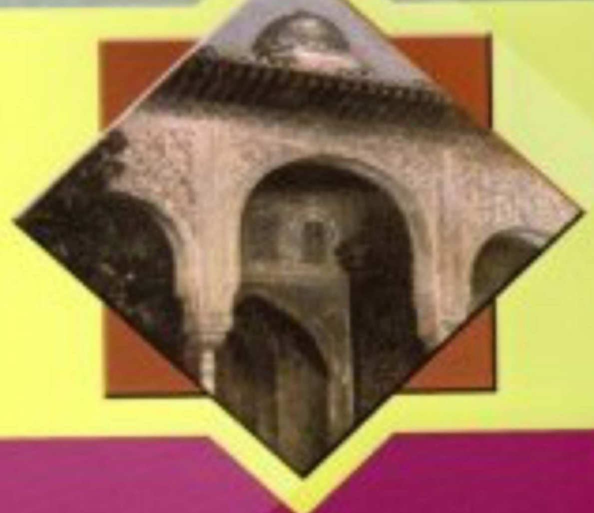
مختصر الفتح المواهبي

في مناقب الإمام الشاطبي

للإمام شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني

اختصار وتحقيق

د. محمد موسى الشريف



دار التركيز

مختصر الفتح المواهبي في مناقب الإمام الشاطبي

الطبعة
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

مختصر الفتح المواهبي في مناقب الإمام الشاطبي

للإمام شهاب الدين أحمد بن محمَّد القسطلاني

رحمه الله تعالى (ت ٩٢٣هـ)

اختصار وتحقيق

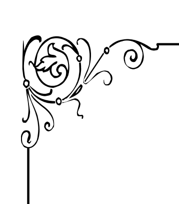
خادم القرآن الكريم

د. محمد موسى الشريف

قدَّم له

خادم القرآن الكريم

أيمن رشدي سويد



بسم الله الرحمن الرحيم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد رسول الله، وعلى آله وصحبه ومَن والاه، أمّا بعد:

ممّا لا شكّ فيه أنَّ حياة الأمم والشعوب إنّما هي بالعلم، وأنَّ اضمحلالَها وذبولها إنّما هو بالجهل، ولما كان العلماءُ هم حملةُ هذا العلم كانت حياةُ الأمم بعلمائها، فبقدر ما يكون في الأمّة من علماء في شتّى الفنون والعلوم تكون قيمتُها وعظمتها.

وقد حظيتْ أمّتنا الإسلاميّة بوفرةٍ من العلماء في مجالاتٍ مختلفة لم تتهيّأْ لأمّة من الأمم غيرَها عبر التاريخ، وهذا أمرٌ معروف للقاصي والداني.

وإنَّ وراءَ كلِّ عالِمٍ قصّةً، كيف نشأ، وكم قاسى وبذَل في سبيل طلب العلم، وكيف تعامل مع مجتمعه الكبير والصغير، كيف كانت صلته بالله ـ عزّ و جلّ ـ وخشيتُه له، كيف كانت مخالفتُه لنفْسه وصبرُه إيّاها على طلب العلم، والحفظِ والفهم، وسهرِ الليالي في سبيل ذلك، وحرمانِه إيّاها من بعض الشهوات المباحة للوصول إلى الغرض الأسمى.

فلا شكَّ أنَّ قراءةَ سِيَرِ أمثالِ هؤلاء العلماء ممّا يَشْحَذُ الهِمَمَ، ويُقوّي العزائم، وخاصّةً عند شبابنا في هذا العصر الذي كَثُرَتْ فيه

الملهِياتُ والمشغِلاتُ بما لا طائلَ تحتَه؛ لا ينفعُ في الدنيا، ولا يخدِمُ الدِّين، ولا يُقرِّب في الآخرة.

وإنّنا لنعجب ـ واللهِ ـ حين نعلم أنَّ عالِماً من علمائنا وهو العلّامة ابن عساكر (ت ٥٧١هـ) قد ألَّف كتاباً في تاريخ دمشق يقع في ثمانين مجلَّداً ضخماً، ولولا أنَّ مخطوطات هذا الكتاب موجودة لكان للإنسان أن يشكَّ في صحّة هذا الأمر، فمتى ألَّف ابنُ عساكر هذا الكتاب؟! ومتى جمَع مادّته العلميّة؟!

لعل في أبياته الآتية بياناً لهذا الأمر المحيِّر، قال العلّامةُ المسنِد الثقة أبو القاسم ابنُ عساكر الدمشقيّ:

لَقَوْلُ الشَّيْخِ أَنبَأَنِي فُلَانٌ
وَكَانَ مِنَ الْأَئِمَّةِ عَنْ فُلَانِ

إِلَى أَنْ يَنْتَهِي الْإِسْنَادُ أَحْلَى
لِقَلْبِي مِنْ مُحَادَثَةِ الْحِسَانِ

وَمُسْتَمْلٍ عَلَى صَوْتٍ فَصِيحٍ
أَلَذُّ لَدَيَّ مِنْ صَوْتِ الْقِيَانِ

وَتَزْيِينِي الطُّرُوسَ بِنَقْشِ نِقْسٍ
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَقْشِ الْمَغَانِي

وَتَخْرِيجُ الْفَوَائِدِ وَالْأَمَالِي
وَتَسْطِيرُ الْغَرَائِبِ وَالْحِسَانِ

وَتَصْحِيحُ الْغَوَالِي مِ الْعَوَالِي
بِنَيْسَابُورَ أَوْ فِي أَصْفَهَانِ

أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَخْبَارِ لَيْلَى
وَقَيْسِ بْنِ الْمُلَوِّح وَالْأَغَانِي
فَإِنَّ كِتَابَةَ الْأَخْبَارِ تَرْقَى
بِصَاحِبِهَا إِلَى غُرَفِ الْجِنَانِ
وَحِفْظُ حَدِيثِ خَيْرِ الْخَلْقِ مِمَّا
يُنَالُ بِهِ الرِّضَى بَعْدَ الْأَمَانِي
فَأَجْرُ الْعِلْمِ يَنْمُو كُلَّ حِينٍ
وَذِكْرُ الْمَرْءِ يَبْقَى وَهْوَ فَانِ

نعم، بهذا الصبر والدأب ومخالفة النفس، وإلجامها عن كثير من الشهوات المباحة وصَل ابُن عساكر ـ رحمه الله ـ إلى ما وصَل من هذا النِّتاج العلميّ الهائل.

وإنَّ من بين الأئمّة الأفذاذ ـ الذين كان لهم الأثر الكبير في الحركة القرآنيّة من القرن السادس الهجريّ إلى وقتنا الحاضر ـ الإمام العلّامة المقرئ أبو محمد القاسم بن فِيرُّهْ الشاطبيّ رحمه الله تعالى (ت ٥٩٠هـ) فما توجَّه طالب علم بهمّته نحو علم القراءات عَبْرَ ثمانية قرون إلا كان أوجَبَ ما عليه هو الاطلاعُ على منظومة «حِرْز الأماني ووَجْه التهاني» المعروفة بـ «الشاطبيّة» وحفظُها.

وكم من إمام نظَم على مثال الشاطبيّة ورَوِيِّها، بل إنّ بعضهم نظَم ما هو أسهلُ منها وأصغر، ومع ذلك لم يُكتَب لتلك المنظومات القَبُول لدى الناس، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ومن الغريب حقّاً ألّا نجِدَ في المكتبة الإسلاميّة كتاباً مفرداً في ترجمة هذا الإمام العظيم، إلّا كتاباً واحداً بعنوان: «الفتحُ المواهِبي

في مناقب الإمام الشاطبي» للإمام شهاب الدين أبي العبّاس أحمد بن محمد القَسْطَلَانيّ رحمه الله تعالى (ت٩٢٣هـ).

وقد قام الأخ الفاضل الشيخ/محمد حسن عقيل موسى ـ حفظه الله ـ باختصار هذا الكتاب وتقديمه للقارئ المعاصِر محقَّقاً مصحَّحاً على نسخة خطِّيَّة مُودَعة في مكتبة «قيلج عليّ باشا» في إستانبول ضِمن مجموع نفيس، فجزاه الله تعالى خيراً على هذا العمل.

والشيخ محمد موسى مؤهَّل للقيام بمثل هذا العمل العلميّ؛ فهو في مرحلة «الدكتوراه»، وقد سبَق له اختصارُ «سِيَر أعلام النبلاء» للإمام الذهبيّ رحمه الله تعالى (ت٧٤٨هـ) الذي يقع في ثلاثة وعشرين مجلَّداً فاختصرَه في ثلاثة مجلَّدات فقط، وله العديدُ غير ذلك من الأعمال العلميّة التي تَشهد بوَفْرَة اطِّلاعِه، وسَعَةِ أُفقه، إضافةً إلى صلته الشديدة بمنظومة «حرز الأماني» وصاحبِها الشاطبيّ؛ فهو من أهل القرآن المتقِين، وقد تلقَّى عليَّ القرآنَ الكريم برواية حفص عن عاصم من طريق الشاطبيّة، ثمّ من طريق الطّيبة، وهو الآن يتلقَّى عنِّي القراءات العشر من طريق الشاطبيّة والدُّرَّة.

أسأل اللهَ العظيمَ أن ينفعَ به وبهذا الكتابِ المسلمين وأن يجِدَ شبابُنا في شخص الإمام الشاطبيّ القُدْوةَ الصالحة في زمنٍ عزَّتْ فيه هذه القُدوةَ، إنّه تعالى سميعٌ قريب مجيب، وصلّى اللهُ على سيّدنا ونبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد للهِ ربِّ العالمين.

جدة/ ٢٣/ ١/ ١٤١٥هـ

خادم القرآن الكريم

أيمن رشدي سُويَدْ

عضو لجنة تحقيق ونشر العلوم القرآنيّة

مقدمة المختصِر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإنه من المعلوم أن علوم القرآن أشرف العلوم على الإطلاق لأن القرآن كلام الله تبارك وتعالى، وأهله هم أهل الله وخاصّته.

وقد تفرغ رجال من الأمة لحمل القرآن وتعلمه وتعليمه فدخلوا في الخيرية التي أخبر عنها ﷺ. بقوله: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[١].

ومن أعظم هؤلاء الرجال كان الإمام الشاطبيّ رحمه الله تعالى وأجزل مثوبته؛ إذ أن الله ـ تعالى ـ بارك في علمه وتآليفه فكانت نافعةً متداولة حتى عصرنا هذا.

ولكن علماء القرآن ـ إلّا من ندر ـ تراجمهم نِتَفٌ متفرقة هنا وهنالك لا يعرفها الكثير من الناس، وما ذاك ـ والله أعلم ـ إلّا لعكوفهم على القرآن وانجماعهم عليه ـ جعلنا الله منهم ـ وهكذا جاءت سيرة الإمام

(١) أخرجه الإمام البخاري عن عثمان ـ رضي الله عنه ـ في كتاب فضائل القرآن باب خيركم من تعلم القرآن وعلّمه.

الشاطبيّ متفرِّقة في كتب التراجمِ لم تُوفَّ حقَّها من الدراسة والاعتناء.

وقد قَيَّض الله لها الإمام القَسْطَلَانيّ فجمع منها ما وصل إليه من سيرته في رسالة عزيزة لطيفة لكنها مملوءة بالأسانيد والأخبار التي لا تلائم إلّا فئة محدودة من الناس، فرأيت أن أختصرها حاذفاً منها ما لا يهم القارئ الذي يريد أن يطَّلع على سيرة هذا الإِمام الكبير.

هذا ومن تمام الفائدة فإني قد جمعتُ أخبار الإِمام الشاطبيّ ـ التي لم يوردها القَسْطَلانِيّ ـ من كتب متفرقة، وألحقت هذه الأخبار بآخر الكتاب في ملحق خاص بها، والله الموفق.

أما عملي في الكتاب ـ إضافة إلى الاختصار ـ فقد ترجمت الأعلام الواردةَ أسماؤهم في الكتاب بإيجاز ـ عدا المشاهير منهم ـ وخرجت الأحاديث، وشرحت الغريب في حدود الطاقة، وجعلت في آخر الكتاب فهرساً لفوائده لتكتمل به الفائدة، إن شاء الله تعالى، وأسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب قارئيه، والله الموفق لما يحب ويرضى.

ترجمة المؤلف

اسمه: هو الشيخ الإمام أحمد بن محمد بن أبي بكر.

كنيته ولقبه: شهاب الدين أبو العبّاس القَسْطَلَانيّ[١] المصريّ الشافعيّ.

مولده ونشأته وصفاته: ولد بالقاهرة سنة٨٥١هـ، ونشأ بها، وطلب العلم على عدد من المشايخ في فنون متنوِّعة.

وكان إماماً، حافظاً، متقناً، جليل القَدْر، حَسنَ الجمع والتأليف.

مؤلفاته: له مؤلفات كثيرة منها هذا الكتاب، و«لطائف الإِشارات في فنون القراءات» وقد طُبع الجزءُ الأول منه، وهو محقق بالكامل منذ أكثر من عشرين سنة، وشرحٌ للبخاري اسمه «إرشاد الساري على صحيح البخاريّ»، ـ وقد طبع مراراً ـ و«المواهب اللدنية بالمنح المحمّدية» في سيرة المصطفى ﷺ.، وهو محقق مطبوع، وغير ذلك[٢].

وفاته: لقصة وفاته عِبرة تدل على عظيم مشاعره، ورقة عواطفه وهي أنه حصل به فالج «نشأ من تأثره ببلوغه قطعَ رأس إبراهيم بن عطاء الله

---

(١) رجح محققو كتاب «لطائف الإِشارات» للإِمام القسْطلانيّ أن نسبته لـ «قَسْطَلْية» إقليم بإفريقية، انظر«لطائف الإِشارات»: ١/ ١٠.

(٢) انظر«شذرات الذهب»: ٨/ ١٢١ ـ ١٢٣.

المكّي صديق السلطان الغوريّ [وكان صديقه أيضاً][1] بحيث سقط عن دابته وأغمي عليه، فحمل إلى منزله ثم مات بعد أيام[2]، وكان ذلك سنة٩٢٣هـ، فرحمه الله وعفا عنه بمنّه.

---

(١) وذلك وقت دخول السلطان سليم العثماني مصر.

(٢) «الكواكب السائرة»: ١/ ١٢٦ ـ ١٢٧. وللتوسع في ترجمته ينظر. زيادة على ما في «الشذرات» و«الكواكب» ـ: «الضوء اللامع» ٢/ ١٠٣ـ١٠٤، و «البدر الطالع»: ١/ ١٠٢ـ١٠٣، و «النور السافر»: ١١٣ ـ ١١٥.

نسبة الكتاب إلى المصنف وتحقيق اسم الكتاب

وردت نسبة الكتاب إلى المصنِّف في «كشف الظنون»: ٢/ ١٢٣٥ ـ ١٢٣٦، وسمّاه: «فتح المواهبيّ في مناقب الشاطبيّ» وفي «معجم المؤلفين»: ٢/ ٨٥ ـ ٨٦، وسمّاه: «منحة من منح الفتح المواهبيّ تُنْبئ عن لمحة من سيرة أبي القاسم الشاطبيّ». والحقيقة أن هذا ليس باسم له؛ إذ وردت هذه العبارة في مقدمة كلام المصنف ـ رحمة الله عليه ـ هكذا: «وبعد: فهذه منحة من منح الفتح المواهبيّ تنبئ عن لمحة من سيرة أبي القاسم الشاطبيّ جمعتها من...» والعنوان لا يكون هكذا عادة.

وجاء اسم الكتاب على الصفحة الأولى من المخطوطة: «الفتح المواهبيّ في مناقب الإمام الشاطبيّ» قريباً مما ذكره صاحب كشف الظنون، وهذا العنوان هو ما اعتمدته اسماً للكتاب، والله أعلم.

وأمّا النص المخطوط فهو من تأليف القَسْطَلَانيّ؛ وذلك لأنه أورد جملة من مشايخه في ثنايا الكتاب مثل الحافظ السخاويّ، وزين الدين عبد الغني الهيثميّ، وشهاب الدين أحمد بن أسد وغيرهم[١].

(١) انظر مشايخه هؤلاء وغيرهم في «البدر الطالع»: ١/ ١٠٢، وفي «الضوء اللامع»: ٢/ ١٠٣.

وهذا المخطوط مصور من نسخة مكتبة قليج [شهيد] علي باشا، الملحقة بالمكتبة السليمانية في استانبول، ورقم المخطوط ١٠٢٩ ضمن مجموع[١] من صفحة ١٧ حتى صفحة ١٥٣، وخط الناسخ لا بأس به؛ وهو السيد علي بن أحمد بن محمد أبي القاسم بن سالم المغربيّ التونسيّ الشهير بـ «البيطار»، وقد فرغ من نسخها في الثاني والعشرين من جمادى الأولى من سنة ١٠٠٩.

(١) أتوجه بالشكر الجزيل لفضيلة شيخي الشيخ أيمن سويد، حفظه الله، الذي أمدّني بصورة هذه المخطوط، وشرح لي بعض غريبها الذي أشكل عليّ، فجزاه الله خيراً.

للورتين هشام يدخل بينهما الفا بخلاف عنه والباقون لا يدخلون بينهما
الفا كما بقي علينا الابيان من يستفهم ومن يخبر ان كان في الاول والثاني
فنافع بخلاف يستفهم في الاول ويخبر في الثاني الا في النمل والعنكبوت ا
فانه يخبر في الاول ويستفهم في الثاني وأما ابن عامر فانه يخبر في الاول
ويستفهم في الثاني الا في العنكبوت والنازعات فانه يستفهم في الاول ويخبر
في الثاني ويزيد في الثاني نونا فيهما فيقول اننا واما موضع الواقعة
فانه يستفهم في الاول والثاني وأما الكسائي فانه يستفهم في الاول ويخبر
في الثاني ويزيد في الثاني نونا من النمل كابن عامر الا في العنكبوت فانه
يستفهم في الاول والثاني فبقي من القرا ابو عمرو وعاصم وحمزة فهم
الاستفهام في الاول والثاني وهم على مذاهبهم المتقدمة من تسهيل و
تحقيق وادخال وعدمه قال مولفه عمر بن قاسم الانصاري المصري
المعروف بالنشار لطف الله به وجعله الفته في يوم الاحد المبارك تاسع
شهر رمضان المعظم قدره سنة ثمان وتسعين وثمانمائة وسميته طرائف
العالمين في حكم الاستفهامين حامدا الله تعالى ومصليا على نبيه محمد رسول الله
صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وسلم وحسبنا الله ونعم الوكيل والحمد لله
اولا واخرا وظاهرا وباطنا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما
... في القران الف آية وعد والف آية وعيد
والف آية امر والف آية نهي والف آية قصص واخبار والف آية
حكم وامثال ومائة وعشرون آية حلال وحرام وخمسون آية تسبيح
وسنة وستون آية ناسخة ومنسوخة

بسلم
الا في النمل

٨٩٨

كتاب الفتح

كتاب الفتح المواهبي في مناقب الإمام الشاطبي

تأليف الشيخ الإمام العلامة شهاب الدين

أبي العباس أحمد القسطلاني

تغمده الله برحمته

آمين آمين

آمين

غلاف المخطوطة

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
الحمد لله الذي فضل بفضله من اختاره من أوليائه المقربين والأبرار
وخص لهم خص غوامض المعاني وسرائر الأسرار وكشف عن بصائرهم
ما احتجب من المعارف من وراء رق الأسرار وتجلى ما يشاء ويختار
أحمده تعالى على أن أنزل قلوبهم من سما المعاني بوجوه التهاني لطائف السمع للتداني
وفتح لهم ينابيع فتحة مغالق كنوز رموز حرز الأماني وأشكره أن يمطر سحائب
رحمات النيابة أنفاس نفوسهم في حضرة قدسه وزكا أسرارهم فرقت إذ فرقت
من هيبة الجلال إلى معارج الجمال والكمال والصلاة والسلام من السلام
على المبعوث إلى كافة الأنام ذي المعجزات الظاهرة والآيات الباهرة
والمحامد المتكاثرة المتواترة المصطفى من طينته والقائم لمولاه بكمال عبوديته
حبيب الله أبي القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم وعلى آله وأصحابه
الذين ما منهم إلا من هو خطيب محاسنه والغائص في بحر علمه المديد على
جواهره ومعادنه صلاة وسلاما يتضوع في الأكوان نشرهما ويبشر في
الآفاق بشرهما وبعد فهذه نفحة من منح الفتح المواهبي تنبي عن
لمحة من سيرة أبي القاسم الشاطبي جمعتها من مفترقات ما سطرته في دواوين
الأئمة الواعون ونصبت نفسي لنقل ما جزم به من رفع قدره الراوون
كاشفا عن غرر وجوه محاسنه القناع بعبارة تشنف بسماعها الأسماع
ورتبتها على عشرة أبواب مستمدا الإعانة من الكريم الوهاب ضارعا إليه
تعالى أن يتوجها بتاج الإقبال والقبول ويبلغني وأحبائي وجميع المحبين
من المدد النبوي نهاية المأمول ه الباب الأول في التعريف باسمه
وكنيته ونسبه ونسبته ه الباب الثاني في ذكر مولده ونشأته
وأيامه

اللوحة الأولى من المخطوطة

وأما بعض شيوخه ورحلته ❁ الباب الثالث في ذكر ثناء الأئمة عليه بالأوصاف الكريمة وسعة حفظه وكثرة علومه الجليلة ❁ الباب الرابع في ذكر شهادة الناس بولايته ومحاسن أخلاقه وزهده وعبادته وبعض ما له من الكرامات وخوارق العادات ❁ الباب الخامس في ذكر تآليفه البديعة للنائل المنيعة المنال ❁ الباب السادس في ذكر الأسانيد السنية بالقصيدتين اللامية والرائية ❁ الباب السابع في ذكر من علمته شرحهما أو نسج على منوال أولاهما وذكر أسانيدي المتصلة بهم نفعني الله ببركتهم ❁ الباب الثامن في سرد أسماء من حضرني من أخذ عنه من الأئمة الأعلام علماء الإسلام وطبقاتهم العلية وأحوالهم المرضية ❁ الباب التاسع في ذكر وفاته ونقلته لرياض روضته ❁ الباب العاشر في ذكر أحاديث عاليات رويناها من طريق الشاطبي وغيره منها بموافقات للأئمة المصنفين الثقات وعلى الله قصد السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل ❁ الباب الأول في التعريف باسمه وكنيته ونسبه ونسبته ❁ هو الإمام العارف الولي المكاشف صاحب العلوم الروحانية والأسرار الربانية قطب دائرة القراء وحامل لواء الإقراء إن ذكر التفسير فهو ابن بجدته وكشاف أسراره والغواص في بحره المحيط إلى قراره أو القراءات فعلمه فيها نافع وعاصم من الزلل وفي فوائده كثرة على ابن كثير من غير خلل أو الحديث فقد شهد له بقدره المرفوع فيه في القديم والحديث تسلسل حديث فضله المعنعن فغدا مرسلا مع الرواة متقنع ظهرت شموس معارفه من الغرب فخيرت ولمعت بوارق علومه بمصر فبهرت وانكشفت لبصر بصيرته أنوار الغيوب وانكشفت بأضواء لمعات سرائره ظلمات الغيوب بما ارتقى في فصاحته على سحبانه وزاد وابل علمه على القطر الهتان ❁

قال أخبرنا بها أبو عمر محمد بن أحمد بن عبد الله بن قدامة الحنبلي بقراءتي عليه
قال أخبرنا الإمام أبو الحسين علي بن أحمد بن عبد الواحد الحنبلي قراءة عليه أنا
أبو علي الحسن بن المذهب الحنفي أنا المنصوري الحموي الشافعي بمنزلة العلا
الركب الشامي أحدى منازل الحاج الشامي إلى الحجاز الشريف ونحن جميعا على قصد الحج في سنة
ثمانمائة قال أنشدني أبو الوليد إسماعيل بن هانئ إجازة قال أنشدني
الوزير أبو القاسم إجازة قال أنشدنا الفقيه أبو بكر المدعو محمد بن أبي
محمد القرطبي لنفسه

نور الحديث منير فادن واقتبس ... واحد الركاب له نحو الرضى القدس
واطلبه بالصين فهو العلم إن رفعت ... أعلامه تروناها يا ابن أندلس
فلا تضع في سوى تقييد شارده ... عمرا يفوتك بين الحظ والنفس
وخل سمعك عن بلوى أخي جدل ... شغل اللبيب بها ضرب من الهوس
ما إن سمته بأبي بكر ولا عمر ... ولا أتت عن أبي هر ولا أنس
فلا يغرك من أربابها هذر ... أجدى وجدك منه نغمة الجرس
أعزهم أذ شاء صماء إذ نطقوا ... وكن إذا سألوا تعزى إلى خرس
ما العلم إلا كتاب الله أو أثر ... يجلو بنور هداه كل ملتبس
نور لمقتبس خير لملتمس ... حمى لمحترس نعمى لمبتئس
فاعكف ببابهما على طلابهما ... تمحو العمى بهما عن كل ملتمس
ورد بقلبك عذبا من حياضهما ... تغسل بماء الهدى ما فيه من دنس
واقف النبي وأتباع النبي تكن ... من هديهم أبدا تدنو إلى قبس
والزم مجالسهم واحفظ مجالسهم ... واندب مدارسهم بالأربع الدرس
واسلك طريقهم واتبع فريقهم ... تكن رفيقهم في حضرة القدس

كمل

اللوحة الأخيرة من المخطوطة

تلك السعادة إن تلمّ بساحتهم، فحطّ رحلك تدعو فيه من تعش[؟]
هذا آخر ما من الله تعالى به من فيض المكارم، بسيرة الشاطبي
أبي القاسم والله أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم خلصاً من
شوائب الريا ودواعي التعظيم وأن يصلي ويسلم على سيدنا محمد خاتم النبيين
وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وآل كل والصالحين وسلم تسليماً أبد
الآبدين والحمد لله رب العالمين ووقع الفراغ من كتابة
هذه الترجمة المباركة ضحى الثاني والعشرين من جمادى الأولى من
شهور سنة تسع بعد الألف لله الحسن الله عاقبتها بخير وعافية آمين
والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين
على يد أفقر العباد وأحوجهم إلى عفو ربه الكريم الغفار
علي بن أحمد بن محمد بن أبي القاسم بن سالم المغربي التونسي
الشهير بالبيطار غفر الله له ولوالديه
ولجميع المسلمين ولمن دعا
له بالمغفرة
آمين آمين
آمين
يا رب



[مقدّمة المصنِّف]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الحمد لله الذي فضّل بفضله من اختار من أوليائه المقربين والأبرار، وربك يخلق ما يشاء ويختار. والصلاة والسلام من السلام، على المبعوث إلى كافة الأنام، ذي المعجزات الظاهرة، والآيات الباهرة، والمحامد المتكاثرة المتواترة، المصطفى من خليقته، والقائمِ لمولاه بكمال عبوديته، حبيبِ الله، أبي القاسم، محمدِ بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وعلى آله وأصحابه الذين ما منهم إلا من هو خطيب محاسنه، والغايص في بحر علمه المديد على جواهره ومعادنه، صلاة وسلاماً يتضوع(١)في الأكوان نَشْرُهما(٢)، ويُنشر في الآفاقِ بِشْرُهما.

وبعد:

فهذه منحة من منح الفتح المواهبيّ، تُنبئ عن لمحة من سيرة أبي القاسم الشاطبيّ، جمعتها من مفترقات ما سَطّرتْه في دواوينها الأئمةُ

(١) تضوَّع: تحرَّك وانتشرَ. «ترتيب القاموس المحيط»: (ض و ع).

(٢) النشر: الريح الطيبة، المصدر السابق: (ن ش ر).

الواعون، ونصبت نفسي لنقل ما جزم به من رفع قدره الراوون، كاشفاً عن غُرَر وجوه محاسنه القِناع، بعبارة تُشَنَّف بسماعها الأسماع[١]، ورتبتها على عشرة أبواب، مستمدّاً الإعانةَ من الكريم الوهاب، ضارعاً إليه تعالى أن يُتوِّجَها بتاج الإقبال والقَبول، ويبلغني وأحبائي وجميع المسلمين نهاية المأمول.

---

(١) الشَّنْف: القُرط الذي تُحلَّى به الأذان. المصدر السابق: (ش ن ف)، والمقصود ما تتجمل به الأسماع من ذكره، والله أعلم.

الباب الأول

في التعريف باسمه وكنيته ونسبه ونسبته

الباب الأول
في التعريف باسمه وكنيته ونسبه ونسبته

هو الإِمام العارف، الوليّ المكاشِف، قطب دائرة القراء، وحامل لواء الإِقراء، إن ذُكر التفسير فهو كشاف أسراره، والغواص في بحره المحيط إلى قراره، أو القراءات فعلمه فيها نافع وعاصم من الزلل[١]،ظهرت شموس معارفه من الغرب فحيَّرت، ولمعت بوارق علومه بمصر فبهرت. أربى في فصاحته على سحبان[٢]، وزاد وابل علمه على المطر الهتّان[٣].

عن الإمام إبراهيم الخليلي[٤] أنه قال: هو وليّ الله أبو القاسم ابن فِيْرُّه بن خلف بن أحمد الرُّعَينيّ الشاطبيّ.

---

(١) الجملة إشارة إلى القارئين: نافع وعاصم، رحمهما الله.

(٢) أحد العرب الفصحاء؛ سحبان بن زُفَر الوايليّ، أسلم في زمن النبي ﷺ ولم يره، انظر«الأعلام»: ٣/ ٧٩. وقد قال ابن حجر: «المعروف أنه جاهلي» وشكك في بلوغه الإِسلام، انظر «الإِصابة»: ٢/ ١٠٨.

(٣) مطر ضعيف دائم، أو مطر ساعة ثم يفتر ثم يعود: «ترتيب القاموس المحيط»: (هـ ت ن).

(٤) هو إبراهيم بن عمر بن إبراهيم، أبو إسحاق، عالم بالقراءات، من فقهاء الشافعية، ولد بقرية جَعْبَر على الفرات، وتعلم ببغداد ودمشق، واستقر في الخليل. وتوفي بها سنة ٧٣٢هـ «الأعلام»: ١/ ٥٥.

وقال شيخ مشايخنا العلامة الشمس ابن الجزري[(١)] في طبقاته: هو القاسم بن فِيْرُّه بن خلف بن أحمد، أبو القاسم وأبو محمد الشاطبيّ الضرير، قال: وبلغنا أنه وُلِد أعمى.

انتهى.

فتحصّل أن له كنيتين: أبو القاسم، وأبو محمد، وأن اسمه: القاسم بإسقاط (أبو).

[١] وقد اختلف في التكني بأبي القاسم على مذاهب:

الأول: المنع مطلقاً سواء كان اسمه محمداً أم لا، نص عليه إمامنا الشافعي للحديث «تَسَمَّوْا باسمي ولا تَكَنَّوْا بكنيتي»[(٢)].

الثاني: الجواز مطلقاً، وإليه ذهب مالك، فيكون النهي مختصاً بحياته ﷺ. لحديث أنس المرويِّ في «الأدب المفرد» للبخاري أن النبي ﷺ. كان في السوق فسمع رجلاً يقول: يا أبا القاسم فالتفت إليه فقال: لم أَعْنِك، فقال: «تَسَمَّوْا باسمي ولا تَكَنَّوا بكنيتي»[(٣)]، ففهموا

---

(١) هو العلامة محمد بن محمد بن محمد، أبو الخير، شيخ الإقراء في زمانه ومن حفاظ الحديث. توفي بشيراز سنة ٨٣٣هـ. «الأعلام»: ٧/ ٤٥ ـ ٤٦.

(٢) أخرجه البخاريّ في كتابه في مواضع متعددة منها: كتاب العلم: باب إثم من كذب على النبي ﷺ، ومنها كتاب الأدب باب قول النبي ﷺ: «سمُّوا باسمي، ولا تكنوا بكنيتي».

(٣) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» في باب اسم النبي ﷺ وكنيته واللفظ كما في «الأدب المفرد»: «كان النبي ﷺ في السوق، فقال رجل: يا أبا القاسم! فالتفت النبي ﷺ، فقال: دعوتُ هذا، فقال: «تَسَمَّوْا باسمي ولا تَكَنَّوْا بكنيتي»، وأخرجه البخاري أيضاً في الأدب المفرد في باب أسماء الأنبياء، عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أيضاً ـ وفيه: «. . . فالتفت إليه النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! إنما دعوت هذا، فقال النبي ﷺ: «تسموا باسمي ولا تَكَنَّوا بكنيتي».

من النهي الاختصاصَ بحياته ﷺ. للسبب المذكور وقد زال ذلك المعنى.

قال النووي: وهذا المذهب أقرب، وتُعقِّب بأنه مخالف لقاعدة أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

فإن قلت: لِم لَم يَنه عن التسمي باسمه مع وجود الإِيذاء به؟ أجيب بأنه كان لا يتأذى به(١) غالباً ولو نودي به لم يُجِب.

المذهب الثالث: لا يجوز لمن اسمه محمد مطلقاً في زمنه ﷺ. وبعده، بخلاف التكني به لمن ليس اسمه محمداً لحديث ابن ماجه وصححه: «من تسمى باسمي فلا يتكنّى بكنيتي»(٢)، وحديثِ البخاريّ في الأدب المفرد «لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي»(٣)، والترمزيّ «نهى أن يُجمع بين اسمه وكنيته» وقال: «أنا أبو القاسم: الله يُعطي وأنا أقسم»(٤)، ورجحه ابن أبي الدنيا والرافعيّ.

الرابع: المنع مطلقاً في حياته ﷺ. والتفصيل بعدها بين من اسمه محمد أو أحمد فيمتنع وإلا فيجوز.

الخامس: حكاه الطبريّ: المنع من التسمية مطلقاً بمحمد، وكذا التكنية بأبي القاسم مطلقاً؛ لما رُوي: أنَّ عمر رضي الله عنه كتب: «لا

---

(١) في الهامش: (لعله يُنادى به) وهو الأقرب، والله أعلم.

(٢) لم أجد الحديث في ابن ماجه وهو في سنن أبي داود: كتاب الأدب: باب فيمن رأى ألّا يجمع بينهما [أي الكنية والاسم].

(٣) الذي في الأدب المفرد: باب اسم النبي ﷺ وكنيته: عن أبي هريرة قال: نهى رسول الله ﷺ أن نجمع بين اسمه وكنيته.

(٤) لم أجده في الترمذيّ، وبعضه في البخاريّ.

تُسمُّوا أحداً باسم نبيّ قطّ»[١]، وفي حديث أنس مرفوعاً: «تسمونهم محمداً ثم تلعنونهم» رواه البزار وأبو يعلى بسند ليِّن[٢]، والله أعلم.

وفِيْرُّه بكسر الفاء وسكون المثنَّاه التحتية وتشديد الراء المضمومة بعدها هاء، قال التاج السبكيّ: اسم أعجمي يقال: تفسيره الحديد، وقال ابن خَلِّكان: هو بلغة اللاطينيّ من أعاجم الأندلس، ومعناه بالعربيّ الحديد.

وقال أبو شامة: اسم للحديد بلغة عجم الأندلس.

والقولان متقاربان؛ يحتمل أن يكون العجم إفرنجاً[٣].

فإن قلت: ما وجه التسمية بالحديد؟ أجيب باحتمال أن يكون إشارةً إلى قوة المسمى به في الدين، وشدةِ بأسه على الأعداء المارقين، وكثرةِ نفعه للموحدين، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥].

والرُّعَيْنِيُّ نسبة إلى «ذي رُعَين» أحد أقْيال اليمن[٤] ونُسب إليه خلق كثيرون.

---

(١) ذكر ذلك الإمام النووي ثم قال: «وأمر جماعة بالمدينة بتغيير أسماء أبنائهم: محمد، حتّى ذكر له جماعة أنّ النبي ﷺ أذن لهم في ذلك وسماهم به فتركهم» انظر «تحفة الأحوذيّ» ٨/ ١٣٢.

(٢) أخرجه البزار في كتاب الأدب: باب كرامة اسم النبي ﷺ وفيه «تسبونَهم» وليس: «تلعنونهم»، وقال: الهيثمي في «مجمع الزوائد»: ٨/ ٥١: «فيه الحكم بن عطيّة، وثقه ابن معين، وضعفه غيره، وبقية رجاله رجال الصحيح».

(٣) قال الزركلي: «الحديد في اللاتينية: FERRUM فيُّرم، وبالفرنسية: FER فير، وبالإسبانية HIERRO هييّرو، فاسم أبي القاسم مركب من اللفظين: اللاتيني والإسباني» «الأعلام»: ٥/ ١٨٠، وهو توجيه جيد من الزِّرِكْليّ رحمه الله.

(٤) القَيْل هو الملك من ملوك حِمير، «ترتيب القاموس المحيط»: (ق ا ل).

والشاطبيّ نسبة إلى شاطبة: مدينة كبيرة ذات قلعة حصينة بشرق الأندلس، خرج منها جماعة من الأئمة الأعلام.

الباب الثاني

في ذكر مولده ونشأته

وأسماء بعض شيوخه، وطلبه للعلم، ورحلته

الباب الثاني
في ذكره مولده ونشأته
وأسماء بعض شيوخه، وطلبه للعلم، ورحلته

اتفقوا على أن مولده كان في آخر سنة ثمان وثلاثين وخمسمئة بشاطبة، وقرأ بها القراآت وأتقنها على أبي عبد الله محمد بن أبي العاص النَّفْرِيّ المعروف بـ «ابن اللايُهْ»[١].

[١] ولما أنهى الإِمام الشاطبيّ الأخذ عن مشايخ بلده، جاب البلاد في طلب العلوم، وجال واقتحم المهامِه[٢]فلم يخَفِ الْأوجال[٣]، فارتحل إلى بَلَنْسِية ـ قرية من قرى شاطبة ـ فقرأ بها القراءات، وعرض كتاب «التيسير» من حفظه على أبي الحسن علي بن الهذيل الأندلسي البلنسيّ الإِمامِ الزاهد[٤]، وسمع منه الحديث.

---

(١) هو محمد بن علي بن أبي العاص، دَيِّن خيِّر، بصير بالروايات، توفي سنة بضع وخمسين وخمسمائة؛ «غاية النهاية»: ٢/ ٢٠٤.

(٢) المَهْمَهُ: المفازة [الصحراء] البعيدة والبلد المُقْفِر، «ترتيب القاموس المحيط» (م هـ م هـ).

(٣) أي الأمور المخفية المُوجلة، ولم أر في القاموس هذا الجمع.

(٤) هو علي بن محمد علي بن هذيل، إمام ثقة عالم، روى العلم نحْواً من ستين سنة، منقطع القرين في الفضل والدين والورع. توفي سنة ٥٦٤هـ. «غاية النهاية»: ١/ ٥٧٣ ـ ٥٧٤.

وسمع الشاطبيُّ من أبي عبد الله محمد بن حميد[(١)] أخذ عنه (الكتاب) لسيبويه[(٢)] و«الكامل» للمُبَرَّد[(٣)] و«أدب الكاتب» لابن قتيبة[(٤)] وغيرها.

وعن أبي الحسن علي بن عبد الله بن خلف بن نعمة الأنصاريّ البَلَنْسِيّ الإِمام الكبير صاحب كتاب «ريّ الظمآن في تفسير القرآن» في عدة مجلدات، وكتاب: «الإِمعان في شرح سنن النسائيّ عبد الرحمن»[(٥)]، وروى عنه شرح «الهداية» للمهدويّ[(٦)].

وسمع الشاطبيّ ـ أيضاً ـ من أبي عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة الإِشبيليّ نزيل تلمسان، مؤلف كتاب «شجرة الوهم المرتقية إلى ذروة الفهم»[(٧)]، ومن أبي عبد الله محمد بن عاشر بن محمد بن

---

(١) محمد بن جعفر بن حميد البَلَنْسيّ. برع في علم النحو، ووليَ قضاء بَلَنْسِيَةَ فحُمدت سيرته، ثم استوطن مُرسيَة. توفي سنة ٥٧٦هـ وله ٧٣سنة. «معرفة القراء» ٢/ ٥٥٩.

(٢) عمرو بن عثمان بن قَنْبَر، أبو بشر، إمام النحاة وأول من بسط علم النحو، وسيبويه بالفارسية رائحة التفّاح، توفي سنة ١٨٠هـ. «الأعلام» ٥/ ٨١.

(٣) محمد بن يزيد الأزدي، أبو العباس، إمام العربية في زمانه، مولده بالبصرة، ووفاته ببغداد سنة ٢٨٦هـ. «الأعلام» ٧/ ١٤٤.

(٤) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينَوَري، أبو محمد، من أئمة الأدب، ومن المصنفين المكثرين، ولد ببغداد وتوفي بها سنة ٢٧٦هـ. «الأعلام» ٤/ ١٣٧.

(٥) أستاذ، حافظ، علّامة. كان عالماً، متقناً، حافظاً للفقه والتفاسير ومعاني الآثار والسنن، متقدماً في علم اللسان، فصيحاً، ورعاً، معظماً من الخاصّة والعامة، وَليَ خطابة بَلَنْسِية، وانتهت إليه رئاسة الإقراء والفتوى، وهو خاتم العلماء بشرق الأندلس. توفي سنة ٥٦٧ في عشر الثمانين. «غاية النهاية»: ١/ ٥٥٣.

(٦) أبو العباس أحمد بن عمّار بن أبي العبّاس المهدويّ نسبة إلى المهديّة بالمغرب، أستاذ إمام مشهور. توفي بعد الثلاثين وأربعمائة. «غاية النهاية»: ١/ ٩٢.

(٧) أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مفرج بن سعادة. كان مقرئاً فاضلاً، ومحدثاً ضابطاً أخذ الناس عنه، وعُمِّر وأسنّ. توفي سنة ٦٠٠. «معرفة القراء»: ٢/ ٥٨٠.

عاشر[١]، وأبي محمد عبد الله بن جعفر المرسيّ[٢]، وأبي العباس بن طرازميل[٣]، وأبي الحسين عليم بن هاني العمريّ[٤].

ومن أبي عبد الله محمد بن عبد الرحيم الخزرجيّ المعروف بابن الفرس[٥]، وأبي القاسم بن حُبَيْش[٦]، وروى صحيح مسلم عن

---

(١) ورد اسمه في «الذيل والتكملة»: أبو محمد عاشر بن محمد بن عاشر بن خلف الأنصاريّ. ولد سنة أربع وقيل ست وثمانين وأربعمائة. روى الحديث، وتلا بالسبع، وتفقّه وتأدّب. كان فقيهاً حافظاً للمسائل، معروفاً بالفهم والإتقان، بصيراً بالفتوى. شرح جزءاً من المدوّنة في مائة جزء ومات ولم يكمله.
كان خيِّراً فاضلاً ذا ورد من الليل. توفي بشاطبة سنة ٥٦٧هـ انظر «الذيل والتكملة»: ٥/ ١/ ٩٩ـ ١٠١.

(٢) لم أجد له ترجمة.

(٣) لم أجد له ترجمة.

(٤) عُليم بن عبد العزيز بن عبد الرحمن، ابن هاني العمريّ. من ذريّة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ شاطبيّ الأصل، نشأ ببعض أعمال دانية.
كان محدثاً، حافظاً لمتون الأحاديث، صالحاً زاهداً، ورعاً، فاضلاً، واعظاً، ناصحاً، كان مثابراً على الدراسة، يستظهر الموطّأ والصحيحين والمدونّة وكثيراً من كتب الرأي والتفسير. وكان يقول: ما حفظت شيئاً فنسيته.
توفي سنة أربع وستين وخمسمائة، وقد قارب الستين ببلنسية ودفن في شاطبة «الذيل والتكملة»: ٥/ ١/ ٤٢٩ ـ ٤٣٠.

(٥) من أهل غرناطة، ولد سنة ٥٠١، عالم، حافظ، مكثر، عالم بالقراءات والفقه، مشارك في الحديث والأصول، مع البَصَر في الفتوى ووجوهها، والضبط للروايات وتحصيلها، والتنبيه على مواضع الخلاف وحفظها. وَلِيَ خُطَّة الشورى بمُرسية ثم قضاء بَلَنسية. أخذ الناس عنه وانتفعوا به. توفي بإشبيلية سنة ٥٦٧، وحمل إلى غرناطة فدفن بها. انظر «الديباج المذهب» ٢/ ٢٦١ ـ ٢٦٢.

(٦) تحرفت في المخطوطة إلى (حشيش). وهو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأندلسيّ الأنصاريّ المُرسِيّ، وحُبيش هو خاله فنسب إليه. إمام كبير، حافظ علامة، صالح. ولد سنة ٥٠٤. مات بمرسية سنة ٥٨٤. «غاية النهاية» ١/ ٣٧٨.

المشايخ الثلاثة أبي الحسن علي بن الهذيل[١]، وأبي محمد عباس بن محمد بن عبّاس[٢]، وأبي عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة[٣].

[١] وكان الشاطبيّ فقيراً، وطُلب أن يَليَ خطابة جامع بلده فامتنع من ذلك، لِما يبالغ فيه الخطباء من وصف الملوك.

ثم ارتحل إلى مصر سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة لقصد الحج، فقدم إسكندرية فسمع بها من الإمام الحافظ الكبير والعلم الشهير أبي الطاهر أحمد بن محمد بن سِلَفه الأصبهانيّ السِّلَفِيّ[٤] نزيل إسكندرية ومن غيره.

[٢] ولمّا دخل مصر أكرمه القاضي الفاضل عبدُ الرحيم[٥] وبالغ في إكرامه، وولّاه مشيخه الإقراء بمدرسته فتصدى فيها لإقراء القراآت واللغة والنحو وغير ذلك من العلوم النافعات، فاشتُهر اسمه وبَعُد صيته وانتهت إليه رئاسة الإقراء، وعَظُم شأنه فقصده الناس من الأقطار فأفاض عليهم من سَيب[٦] جُود علمه المِدرار.

ولما فتح السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب[٧] بيت المقدس توجه لزيارته في سنة تسع وثمانين وخمسمائة وصام به

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) لم أجد له ترجمة.

(٣) ومن مشايخة أيضاً أبو جعفر بن مسعود بن إبراهيم بن أَشْكَنْبَذ وأبو جعفر إبراهيم بن محمد بن علي بن أبي العاص النفزيّ، كما في «الذيل والتكملة»: ٥/ ٢/ ٥٤٨.

(٤) أبو طاهر، حافظ مكثر رحالة، من أهل أصبهان، نزل الإسكندرية وفيها توفي سنة ٥٧٦هـ، «الأعلام»: ١/ ٢١٥ ـ ٢١٦.

(٥) عبد الرحيم بن علي بن السّعيد اللخميّ، وزير صلاح الدين الأيوبيّ ومن أئمة الكُتّاب، ولد بعسقلان وانتقل إلى القاهرة وتوفي بها سنة ٥٩٦هـ. «الأعلام»: ٣/ ٣٤٦.

(٦) السَّيْب: العطاء. «ترتيب القاموس». (س ي ب).

(٧) يوسف بن أيوب بن شاذي، أبو المظفر، الملقب بـ «الملك الناصر» من أشهر ملوك =

رمضان، فلمّا آب من الزيارة المعزوزة في ذلك العام، أناخ راحلة السير بالمدرسة الفاضلية[(١)] لنفع الخاص والعام. ولم يزل على ذلك هناك حتى اخترمته يد المنون، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

[١] وهذه المدرسة المذكورة أنشأها القاضي الفاضل بدرب ملوخية بجوار داره سنة ثمانين وخمسمئة وأوقفها على طائفة الفقهاء الشافعية والمالكية، وجعل قاعةً لإِقراء القراآت، أقرأ فيها الإِمامُ أبو القاسم بن فِيْرُّه ثم تلميذه أبو عبد الله القرطبيّ[(٢)]، ثم غيرهما.

[١] ووقف بها جملة من الكتب في سائر العلوم يقال إنها مئة ألف مجلد نهبت كلها بسبب أن الطلبة كانت بها ـ لما وقع الغلاء بمصر سنة أربع وستين وستمئة ـ مسهم[(٣)] الضرر، فصاروا يبيعون كلّ مجلد برغيف من الخبز حتى ذهب أكثرها، ثم تداولت عليها أيدي الفقهاء بالعارِيّة فتفرقت، ولم يبق منها إلا المصحف الكبير المكتوب بالخط الأول الكوفي المعروف بمصحف عثمان بن عفان، ويقال إن القاضي الفاضل اشتراه بنيف وثلاثين ألف دينار؛ على أنه مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان ـ رضي الله تعالى عنه ـ وكان في خزانة

= الإِسلام، من الأكراد، ونشأ في دمشق وتفقه وتأدب وروى الحديث بها، وكان أعظم انتصار له على الفِرَنج في فلسطين والساحل الشامي يوم «حطين» الذي تلاه استرداد طبرية وعكّا ويافا إلى ما بعد بيروت ثم افتتاح القدس. توفي سنة ٥٨٩هـ بدمشق. «الأعلام»: ٨/ ٢٢٠.

(١) نسبة إلى القاضي الفاضل كما سيأتي.

(٢) هو محمد بن عمر بن يوسف الأنصاريّ المالكي، إمام عالم، فقيه، مفسر، = = نحوي، زاهد، مقرئ، ولد بُعيد الخمسين وخمسمائة، توفي سنة ٦٣١هـ. «غاية النهاية»: ٢/ ٢١٩ ـ ٢٢٠.

(٣) كذا في المخطوطة، ولعلها: فمَسهم.

بجانب المحراب من غَربيِّة، وعليه جلالة ومهابة، ولم يزل بها حتى خرب ما حول المدرسة المذكورة وآل أمرها إلى التلاشي، فنقله[١] السلطان الملك الأشرف قانصوه الغوريّ[٢] ـ أجرى الله على يديه الخيرات وختم أعماله بالصالحات، كما نقل الآثار النبوية لاستيلاء السراق على القاطنين بمحلها، وعدم الأمن، وخوف الضياع ـ إلى القبة التي أنشأها تجاه مدرسته الشريفة داخل باب زويلة من القاهرة المُعِزِّيّة.

---

(١) أي المصحف العثماني.

(٢) أحد سلاطين مصر المماليك، جركسيّ الأصل مستعرب، خدم السلاطين، وولي حجابة الحجاب بحلب، ثم بويع بالسلطنة سنة ٩٠٥هـ بالقاهرة، قصده السلطان سليم العثماني فقاتله قانصوه في مرج دابق على مقربة من حلب فقتل في المعركة سنة ٩٢٢هـ. «الأعلام»: ٥/ ١٨٧.

الباب الثالث

في ذكر ثناء الأئمة عليه بالأوصاف الكريمة
وحفظه وكثرة علومه الجسيمة

الباب الثالث
في ذكر ثناء الأئمة عليه بالأوصاف الكريمة وحفظه وكثرة علومه الجسيمة

قال العلّامة القاضي تاج الدين عبد الوهاب ابن السبكيّ[١] في طبقاته:

كان الشاطبيّ إمام القراءات في عصره حرّر رواياتِها، ورفع على هام الجوزاء راياتِها[٢]، فأصبح في وقته والناس لغيره قالون[٣]، وعقدوا عليه إجماعهم وقالوا: هو قالون[٤]، انتهت إليه الرئاسة في إقراء القراءات، ومعرفة وجوهها، وتقرير علومها مع المعرفة التامة بالحديث، والنحو، واللغة، وغير ذلك مما انفرد به، واعترف له به أهل عصره ومن بعدهم، وانتفع به جماعة من الأجلاء، وارتقوا ببركته إلى المناصب العلية، والمراقي السَّنِيَّة.

وقال الشمس ابن الجزريّ في طبقاته:

هو وليّ الله العلامة أحد الأعلام الكبار المشهورين في الأقطار.

---

(١) إمام، مؤرخ باحث، ولد في القاهرة، وانتقل إلى دمشق مع والده فسكنها وتوفي بها سنة ٧٧١. «الأعلام»: ٤/ ١٨٤.

(٢) الجوزاء برج في السماء، وقال مرتب القاموس: سميت بذلك لاعتراضها في جوز السماء أي وسطها: «ترتيب القاموس»: (ج ا ز).

(٣) أي تاركون مبغضون، «ترتيب القاموس»: (ق ل ي).

(٤) أي جيِّد بالرومية، وهذا جناس لفظيّ وخطيّ.

وقال قاضي القضاة شمس الدين ابن خَلكان[(١)]:

[١] كان عالماً بكتاب الله ـ عز وجل ـ قراءة وتفسيراً، وبحديث رسول الله ﷺ. مُبرّزاً فيه. وكان إذا قُرِئَ عليه صحيح البخاري ومسلم والموطأ؛ تُصحح النسخ من حفظه، ويملي النكت[(٢)] على المواضع المحتاج إليها من لفظه، كان أوحد عصره في علم العربيّة واللغة عارفاً بعلم الرؤيا.

[١] قال: وكان ـ رحمه الله ـ يقول عند دخوله إلى مصر: إنه يحفظ وِقْر[(٣)] بعير من العلوم[(٤)].

وقال شيخ الإسلام النوويُّ[(٥)]: لم يكن بمصر في زمانه نظيره في تعدد فنونه.

وقال الحافظ شمس الدين الذهبيّ[(٦)]:

كان إماماً علامة ذكيّاً كثير الفنون، منقطع القرين، رأساً في القرآت، حافظاً للحديث، بصيراً بالعربية، واسع العلم.

---

(١) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم البرمكيّ الإِربليّ، أبو العبّاس، مؤرخ حجة وأديب ماهر. توفي بدمشق سنة ٦٨١. (الأعلام ١/ ٢٢٠).

(٢) الدقائق.

(٣) الحمل الثقيل «ترتيب القاموس»: (وقار).

(٤) جاء في «وفيات الأعيان»: ٤/ ٧٢: «دخل مصر سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة، وكان يقول عند دخوله إليها: «إنه يحفظ وِقر بعير من العلوم، بحيث لو نزل عليه ورقة أخرى لما احتملها». وهذا عجيب.

(٥) هو الإمام العلامة يحيى بن شرف بن مُرِّي، أبو زكريّا، مولده بنوى من قرى حوران بسوريا، وتوفي بها سنة ٦٧٦هـ «الأعلام»: ٨/ ١٤٩ ـ ١٥٠.

(٦) الإِمام العلامة محمد بن أحمد بن عثمان، أبو عبد الله، حافظ، مؤرخ، تركماني الأصل، مولده في دمشق ووفاته بها سنة ٧٤٨هـ. «الأعلام» ٥/ ٣٢٦.

وقال التاج السبكي:

كان ذكيَّ القريحة، قويَّ الحافظة، واسعَ المحفوظ، كثيرَ الفنون، فقيهاً، مقرئاً، محدثاً، نحوياً، يتوقد ذكاء.

وقال شيخ مشايخنا الشمس ابن الجزريّ:

كان إماماً كبيراً أعجوبة في الذكاء، كثيراً في الفنون، آية من آيات الله، غاية في القرآن، حافظاً للحديث، بصيراً بالعربية، إماماً في اللغة، رأساً في الأدب، شافعي المذهب، مواظباً على السنة.

وقد ذكره ابن فرحون(١) في طبقات المالكية فيحتمل أنه كان مالكيّاً ثم تشفع.

وقال الإمام أبو اسحاق الجَعْبَريّ:

[١] كان إماماً في علوم القراءات، ناصحاً لكتاب الله، متقناً لأصول العربية. رُحَلَةً في الحديث تُضبط نسخ الصحيحين من لفظه، غايةً في الذكاء، حاذقاً في تعبير الرؤيا، مجيداً في النظم، لا يجلس للإقراء إلا متطهراً خاشعاً.

وقال الصلاح الصفديّ(٢):

[١] كان إماماً علامة نبيلاً، محققاً، ذكيّاً، حافظاً للحديث، كثير العناية به، عالماً بالقرآن قراءة وتفسيراً، وبالحديث مُبَرِّزاً فيه، حسن المقاصد، مخلصاً فيما يقول ويفعل.

---

(١) إبراهيم بن علي بن محمد، برهان الدين اليعمريّ، عالم بحّاث، ولد ونشأ ومات بالمدينة سنة ٧٩٩ عن نحو سبعين عاماً. «الأعلام»: ١/ ٥٢.

(٢) خليل بن أَيْبَك بن عبد الله، أديب مؤرخ، كثير التصانيف، ولد في صفد بفلسطين، وتعلم في دمشق وتوفي بها سنة ٧٦٤هـ. «الأعلام»: ٤/ ٣١٥ ـ ٣١٦.

وقال العلم السخاوي[١]:

هو الشيخ الإِمام شرف الحفاظ، والقراء، علم الزهاد، والكبراء.

(١) علي بن محمد بن عبد الصمد الهَمْداني المصري الشافعيّ، أبو الحسن، عالم بالقراءات واللغة والتفسير، وله نظم، أصله من سخا بمصر، سكن دمشق وتوفي بها سنة ٦٤٣هـ «الأعلام»: ٤/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣.

الباب الرابع

في ذكر شهادة الناس بولايته ومحاسن أخلاقه
وزهده وعبادته، وبعض ما له
من الكرامات وخوارق العادات

الباب الرابع
في ذكر شهادة الناس بولايته ومحاسن أخلاقه وزهده وعبادته، وبعض ماله من الكرامات وخوارق العادات

كان علمَ المهتدين وحجة السالكين، متكلماً بنور بصيرة تُشرف على السرائر، ولايته أشهر من الشمس وأضوأ من القمر، لا ريب فيها ولا لبس، فهو الوليّ الذي ما شك أحد ـ بحمد الله ـ في صدق ولايته، والإِمام الذي ودّ كل إمام أن يُصلي خلفه ليُعدّ من جماعته، ويكفي ما اشتهر على ألسنة الخلق ـ إذ هي كما قيل: أقلامُ الحق ـ وسكن في القلوب وتحركت به الشفاه، من نعته بـ «ولي الله».

قال الإِمام علم الدين السخاويّ:

[١] سمعت أبا عبد الله محمد بن عمر بن حسين[1] يقول:

حججت سنة ثمانين وخمسمئة فسمعت جماعة من المغاربة يقولون: من أراد أن يصلي خلف رجل لم يعصِ الله قطُّ في صغره ولا كبره فليصلِّ خلف أبي القاسم الشاطبيّ.

وقال التاج ابن السبكيّ:

---

(١) زين الدين أبو عبد الله الكرديّ. مقرئ، عالم، متصدر للإِقراء بجامع دمشق زمن السخاويّ. توفي سنة ثمان وعشرين وستمائة. «غاية النهاية»: ٢/ ٢١٦.

كان الشاطبيّ من العلماء المتورعين، وعباد الله المخلصين، وأولياء الله الفائزين، زاهداً عابداً ناسكاً.

وقال الحافظ عماد الدين ابن كثير(١) في «البداية والنهاية»: كان ديناً خاشعاً ناسكاً، كثير الوقار، لا يتكلم فيما لا يعنيه.

[٢] وقال صاحب «الجوهر النَّضيد»(٢): كان ذا أدب ووقار وصلاح، تظهر فيه علامة الصالحين، وتلوح فيه كرامات الأولياء المبصرين، يلوم أصحابه على أشياء ما أطلعوه عليها، ضابطاً لسانه عن فضول الكلام، لا ينطق في سائر أوقاته إلا بما تدعو إليه ضرورته، ويمنع جلساءه من فضول الكلام ويمنحهم وده، ويدر عليهم رِفده(٣).

[١] وقد جزم السخاويّ ـ فيما حكاه ابن السبكي ـ أنه كان ولياً مكاشَفاً، صاحب حال واسع.

[٢] ورُوِّينا بسند صحيح عن جماعة من أصحابه عنه أنه سمع الأذان بجامع عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ من غير المؤذنين مراراً لا يحصيها عند الزوال.

[٣] وذكر أبو المعالي ابن عين الفضلاء(٤) فيما قرأته في كتابه «المصباح» أن الشاطبي قال: رأيت النبي ﷺ عشر ليالٍ متواليات بالروضة الشريفة؛ فقرأت عليه القرآن فيها وإنه ﷺ قال لي: حماك الله من الشُّبه، وله حكايات مشهورة وكرامات مبرورة. انتهى.

---

(١) إسماعيل بن عمر بن كثير القرشيّ الدمشقيّ، أبو الفداء عماد الدين، حافظ، مؤرخ، فقيه. توفي بدمشق سنة ٧٧٤هـ «الأعلام»: ١/ ٣٢٠.

(٢) لم أعثر على تعريف للكتاب.

(٣) عطاءه.

(٤) لم أجد له ترجمة.

[٤] وصح: أنَّه وقع بينه وبين أحد الملوك كلام، وأنه أغلظ على ذلك الملك في القول.

وكان إذا جلس إليه أحد لا يحسب أنه ضرير، بل لا يرتاب أنه يبصر؛ لأنه ما كان يظهر منه ما يظهر من الأعمى في الحركات.

والذي أقول: إنه كان أبصر من كثير من البصراء.

ومن هذا المعنى ما أنشده الشاطبيّ ـ رحمه الله تعالى ـ لما عمي[1] فقال:

وقـالـوا قـد عـمـيـتَ فـقـلـت كـلا
وإنـي الـيـوم أبـصـر مـن بـصـيـر
ســواد الـعـيـن زار ســواد قـلـبـي
لـيـجـتـمـعـا عـلـى فـهـم الأمـور

قال السخاوي في «جمال القراء»:

[١] وكان[2] إذا جلس للإقراء لا يجلس إلا على طهارة، عُلِم ذلك منه؛ فإنه كان يصلي الظهر بوضوء الصبح، وكان إذا أذن المؤذن لصلاة الظهر انتصب قائماً يستبرئ نفسه ليعلم هل يحتاج إلى الوضوء، فإن رأى ذلك توضأ وإلا صلى على حاله.

[١] وكان لا يسجد إذا قُرئت عليه السجدة، ولا يسجد أحد ممن يقرأ عليه كذلك، وكانت سُنةَ أشياخة؛ لأنّ حال المقرئ والمعلم يخالف حال من يتلو لنفسه، ولو كُلِّف المقرئ، والمعلم ذلك؛ لأفضى الأمر

---

(١) هذا يخالف ما جاء آنفاً عن الإمام ابن الجزري حيث قال: «بلغنا أنه ولد أعمى» فالله أعلم انظر ص: ٢٥.
(٢) أي الشاطبيّ.

إلى الحرج والمشقة، وقد نقل جماعة من القوم الإِجماع على ترك السجود حالة القراءة على الشيخ لحديث الشيخين عن زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ قال: قرأت على رسول الله سورة النجم، فلم يسجد[١].

[٢] وقد أخبرني غير واحد من أصحاب الحافظ شمس الدين أبي الخير محمد الأثريّ السَّلَفِي[٢] عنه أنه قال: أخبرني شيوخنا الثقات عن شيوخهم عن الشاطبي أنه كان يصلي الصبح بغَلَس[٣] بالفاضلية[٤] ثم يجلس للإِقراء، فكان الناس يتسابقون السُّرى إليه ليلاً[٥]، وكان إذا جلس لا يزيد على قوله: من جاء أولاً فليقرأ ثم يأخذ على الأسبق فالأسبق، فاتفق بعض الأيام أن بعض أصحابه سبق أولاً فلما استوى الشيخ قاعداً قال: من جاء ثانياً فليقرأ، فشرع الثاني في القراءة وبقي الأول لا يدري حاله، فأخذ يتفكر فيما وقع منه بعد مفارقة الشيخ من ذنب أوجب حرمان الشيخ له، فتذكر أنه أجنب تلك الليلة وأنه من شدة حرصه على النوبة نسي ذلك لما انتبه[٦] وبادر إلى النوبة، فاطّلع الشيخ على ذلك، فأشار الشيخ إلى الثاني بالقراءة، ثم إن ذلك الرجل بادر إلى الحمام بجوار المدرسة فاغتسل ثم رجع قبل فراغ الثاني، فلما فرغ قال الشيخ: من جاء أولاً فليقرأ، فقرأ.

---

(١) أخرجة البخاري في أبواب سجود القرآن وسننها باب من قرأ السجدة ولم يسجد، وفي هذا الإِجماع المنقول نظرٌ، انظر كلام ابن حجر شارحاً هذا الحديث، وانظر «الفقه الإِسلامي وأدلته»: ٢/ ١٢٣.

(٢) يعني شمس الدين ابن الجزري كما في «غاية النهاية» ٢/ ٢١.

(٣) الغَلَس: ظلمة آخر الليل.

(٤) اسم المدرسة التي يُقرِئ فيها كما سبق.

(٥) انظر إلى هذه الهمة العالية، وقارنها بما نحن عليه اليوم.

(٦) أي من نومه.

قال شيخ مشايخنا(١): وهذا من أحسن ما وقع لشيوخ هذه الطائفة بل لا نعلم أنه وقع مثله في الدنيا. انتهى.

[١] حُكي لي أنه لما كان بطريق مكة ذاهباً إليها اجتاز شجرة فأخبره خادمه عند قربها فطأطأ رأسه تحتها لئلا تصيبه، فلما حج وعاد لذلك الموضع طأطأ رأسه تحت موضعها كما فعل أولاً من غير أن يعلمه أحد بذلك ـ وكانت الشجرة قد قُطعت قبل عوده ـ وإنه سُئل عن سبب فعل ذلك فذكره، وأنه حُفِر ثم وُجد أصل تلك الشجرة المذكورة.

[١] يُحكى أن رجلين جلسا قريباً منه وأنه وقع بينهما تشاجر، فسب كل منهما الآخر باللغة التركية، وأنه طُلب من الشاطبيّ الإِخبارُ بما قالاه، فاستنطق الشاطبي أحدهما ثم أجلسه عن يمينه، ثم الآخر فأجلسه عن يساره، ثم قال: أما هذا فابتدأ هذا بقوله كذا وكذا، فأجابه هذا بكذا وكذا، وردّ عليه الآخر كذا وكذا، وقال هذا: كذا وكذا، وردّ عليه الآخر كذا وكذا، حتى فرغ من حكاية قوليهما باللغة التركيّة ولم يعرفها قبل.

[٢] وبالجملة فقد حكى عنه أصحابه، وغيرهم كثيراً من العجائب وذكروا من مناقبه أغرب الغرائب، وعظموه تعظيماً بالغاً حتى قال الحافظ العلّامة أبو شامة المقدسيّ فيه هذه الأبيات:

رأيت جماعةً فضلاء فازوا
بـرؤية شيخِ مصرَ الشاطبي

---

(١) أي ابن الجزريّ المذكور في بداية الحكاية.

وكـــلـــهـــمُ يـــعـــظـــه ويـــثـــنـــي

كـتـعـظـيـم الـصـحـابـة لـلـنـبـي

وهذا فيه من المبالغة ما لا يخفى، ولا يلزم من التشبيه التشبه من كل وجه فهو هنا أمر نسبيّ.

الباب الخامس

في ذكر تآليفه البديعة المثال المنيعة المنال

الباب الخامس

في ذكر تآليفه البديعة المثال المنيعة المنال

فمنها القصيدة اللامية المسماة بـ «حِرز الأماني ووجه التهاني»: ـ التي ذكر: أنه ابتدأ أولها بالأندلس إلى قوله: «جعلت أبا جاد على كل قارئ دليلاً» وأكملها بالمدرسة الفاضلية بالقاهرة المُعزِّيَّة ـ المشتملة على القراآت السبع، الفائقة في الإيجاز والجَمع، الساري سرُّها في سائر القلوب والأسرار، المتلقاة بالقَبول من علماء الأمصار، فمن آياتها الباهرة وبراهينها المتكاثرة أنه يفتح لمُعانيها من مَعانيها في كل حين باب، ومن فوائد فرائدها مالم يكن له في حساب(١).

[١] ولما مدح نظمه وخاف من شكر النفس، دعا الله تعالى أن يعصمه من أن يكون قوله، أو عمله للسمعة، فيَضيع سعيه فقال:

---

(١) هذا أمر مشاهد معروف؛ فقد سألني شيخي الشيخ أيمن سويد ـ حفظه الله تعالى ـ يوماً شاهداً من «الشاطبية» فذكرت له البيت المعروف:

والــرَّاءُ جــزمــاً بــلامــهــا   كواصبر لحكم طال بالخلف يذبلا

فالشطر الثاني من البيت من قوله: «كواصبر» فيه من الحكمة ما لا يخفى، فاستذكرت ذلك أنا والشيخ وسُرِرنا به.

ونـاديـت الـلـهـم يـا خـيـر سـامـع
أعـذنـي مـن الـتـسـمـيـع[١] قـولاً ومِـفـعـلا

فللّه دره من إمام مخلص علَّام.

ولقد رُوِّينا عن العلم السخاويّ عن الشاطبيّ: أنه قال:

لو كان في أصحابي خير أو بركة؛ لاستنبطوا من قصيدتي هذه ما لم يخطر ببالي. انتهى[٢].

وبلغني: أن بعضهم قال: إنه يستنبط ـ أو قال يَستخرج ـ منها اثني عشر علماً.

وقد قرأت من خط شيخ مشايخنا الزين ابن عيّاش المقرئ[٣] بمكة، المنقول من خط العلامة أبي عمرو بن الحاجب المالكي[٤] ما نصه:

[١] بسم الله الرحمن الرحيم: يقول أبو القاسم بن فِيْرُّه بن أبي القاسم بن أحمد الرُّعَيْنيّ ثم الشاطبيّ: إن صاحبه أبا الحسن علي بن الشيخ الصالح أبي عبد الله محمد بن عبد الصمد السخاويّ عرض عليه

(١) الرياء.

(٢) قال أبو شامة ـ رحمه الله ـ في مقدمة شرحه على الشاطبية «إبراز المعاني»: «رأيت الشيخ الشاطبيّ ـ رحمه الله ـ في المنام وقلت له: يا سيدي حكى لنا عنك الشيخ أبو الحسن السخاويّ أنك قلت كيت وكيت، فقال: صدق».

(٣) زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن عيّاش. ولد سنة ٧٧٢ بدمشق ونشأ بها، فقرأ القراءات على عدد من المشايخ وارتحل إلى الحرمين، فصار شيخ الإقراء هناك بلا مدافع. توفي سنة ٨٥٣ بمكة، رحمه الله. «الضوء اللامع»: ٤/ ٥٩ ـ ٦١.

(٤) عثمان بن عمر بن أبي بكر، أبو عمرو، جمال الدين، فقيه مالكي، من كبار علماء العربية، كردي الأصل، ولد ونشأ بمصر وسكن دمشق، وتوفي بالإسكندرية سنة ٦٤٦هـ. «الأعلام»: ٤/ ٢١١.

قصيدته التي عملها في مذاهب الأئمة السبعة أئمةِ الأمصار ـ وإنما عملها رغبة في ثواب الله الكريم، وحرصاً على إحياء العلم الذي تضمنه كتاب «التيسير» الذي عُنيَ بجمعه الإمام أبو عمرو[١]، وهو إمام عَظُمت همته في شأن القرآن، وزاد[٢] في العناية به على كثير ممن تقدمه فضلاً عن الأقران، ولقي من أخذ عن أهل الشرق والغَرب، وهان عليه في ذلك ركوبُ كل وعرٍ، ومستصعب، ودار الحجاز، والشام، ومصر والمغرب الأوسط، ولم يَروِ إلّا عن المُوفَّر في دينه المهذب الأضبط، ثم أودع في هذا الكتاب ما ضبطه عن كل متقن ـ على أن هذه القصيدة أبرزت من معانيه[٣] عقودَها، وأضافت إليها من كلام الأئمة المبرزين ما شاكل نظمها ونضيدها، ولعلّ حراسةَ الله وعونَه تحببها إلى أهل العلم حتى لا يهدم المتعسف مشيدها، فكم فيها من فوائد يطيب بساحل الإِنصاف ورودها، وكل ذلك إنما وصل إليه بعون الله ورِفده، والله المسؤول في دوام نشره، محفوظاً بحمد الله وشكره، وصاحبها الفقير إلى مولاه، لا يحمله على ذكرها إلا تنبيهُه على العلم والترغيبُ في مبادرته وتوقير مقداره لا سواه، وقد أذنت لصاحبنا المذكور أن يرويَها عنِّي، ويُرَوِّيَها من أحب لمن أحب ثقةً بعلمه لها، وفهمِه فيها على حسن ما أخذته عليه، والله تعالى يجعل ذلك كله وُصلة إلى ما يحبه، ويرضاه، ويعين جميعنا على ما يُقرب في

(١) هو الإِمام أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الداني أحد أئمة القرآن والحديث. توفي سنة ٤٤٤هـ، بدانية من الأندلس: «الأعلام»: ٤/ ٢٠٦.

(٢) في الأصل: وزاده.

(٣) أي كتاب التيسير.

دُنياه، وأُخراه، ويجعلنا ممن يُغبط في حمل العلم ونشره مَراحَه[١] ومَغْداه[٢]، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وكتب [أبو] القاسم المذكور في آخر شعبان الذي من سنة أربع وثمانين وخمسمائة. انتهى.

وقال الحافظ شمس الدين الذهبيّ فيها، وفي «العقيلة الرائية» التي نظم فيها «مُقنع» الدانيّ في رسم المصحف العثماني:

قد سارت بهما الركبان وخضع لهما فحول الشعراء وكبار البلغاء وحُذّاق القراء فلقد أبدع، وأوجز، وسهَّل الصعب، وأحرز. انتهى.

وقال غيره:

هي عمدة القراء في هذا الزمان، فقلّ من يشتغل بفن القراآت إلا ويقدم حفظها ومعرفتها، قال: وهي مشتملة على رموز عجيبة، وإشارات لطيفة غريبة، لم يُسبق إليها.

وقد رُوِّينا عنه أنه قال: لا يقرأ أحد قصيدتي هذه إلا ينفعه الله بها، لأني نظمتها لله تعالى.

أقول: وكذا كان فلقد عمت في المشارق والمغارب بركتها.

[١] ورأيت بظاهر نسخة من اللامية ما نصُّه: رُوي عن الشاطبي أنه قال: من حفظ هذه القصيدة دخل الجنة، فبلغ بعض المقرئين هذا الكلام، فقصده؛ ليسأله، فقال: نعم من حفظها دخل الجنة[٣]، بل من مات وهي في بيته دخل الجنّة[٤].

---

(١) الرواح: العَشِيّ وهو من الزوال إلى الليل «ترتيب القاموس»: (روح).

(٢) الغُدُوّ: ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس «ترتيب القاموس»: (غ د ا).

(٣) قد يكون قوله اعتماده على الرؤيا الآتي ذكرها. والله أعلم.

(٤) كأن ذلك بسبب أن من كانت في بيته فهو من أهل القرآن الذين يُرجى لأمثالهم أن يدخلهم الله الجنة، والله أعلم، أو يكون ذلك اعتماداً على الرؤيا الآتية قريباً.

[٢] وما حفظها أحد إلا وانتفع بها؛ لأن ناظمها لما فرغ منها طاف بها حول الكعبة اثني عشر ألف أسبوعاً[(١)] وهو يدعو في أماكن الدعاء لمن يقرؤها وهي بين يديه بهذا الدعاء: اللهمّ فاطرَ السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، ربَّ هذا البيتِ العظيم، انفع بها كلَّ من يقرؤها.

[١] ورُوي: أنه لما فرغ منها؛ رأى النبي ﷺ في منامه، فقام بين يديه، وقدم القصيدة بين يديه، وقال: يا رسول الله! انظر هذه القصيدة، فتناولها النبيّ ﷺ بيده الشريفة، وقال: هي مباركة، من حفظها دخل الجنة.

وقال ابن الجزريّ:

[٢] ولقد رُزق هذا الكتاب من الشهرة والقبول ما لا أعلمه لكتاب غيره في هذا الفن، بل أكاد أقول ولا غير هذا الفن؛ فإني لا أحسب أن بلداً من بلاد الإسلام تخلو منه، بل ولا أظن أن بيت طالب علم يخلو من نسخة منه، ولقد تنافس الناس فيه ورغبوا في اقتناء النسخ الصحاح؛ حتى إنه كان عندي نسخة جامعة لـ «اللامية»[(٢)] و«الرائية»[(٣)] بخط السخاويّ فأُعطِيت وزنَها فضة ثمناً لها فلم أقبل.

ولقد بالغ الناس في التغالي فيها منطوقاً ومفهوماً، حتى خرجوا بذلك عن حد أن تكون لغير معصوم، وتجاوز بعضٌ الحد فزعم أن ما فيها هو القراآت وأن ما عدا ذلك شاذ لا يجوز. انتهى.

---

(١) الأسبوع هو سبعة أشواط.
(٢) أي الشاطبية.
(٣) هي نظم كتاب «المقنع» لأبي عمرو الدانيّ في علم الرسم العثماني، كما تقدم.

[١] وأنشدني الزكي الفاضل زكي الدين بن سفيان(١) سبط شيخنا الزيني الهيثميّ(٢) لنفسه مضمناً(٣):

لـــلـــه در الـــشـــاطـــبـــيّ الـــذي
أهـــدى لـــنـــا الـــدر بـــنـــظـــمٍ غـــلا
قـــصـــيـــدة جَـــلّـــت عـــن الـــشِّـــعـــر بـــل
عـــروس حـــســـن قـــد غـــدت تُـــجـــتـــلا(٤)
«حِـــرْز الأمـــانـــي» أحـــرزت لـــلـــمـــنـــى
وجـــه الـــتـــهـــانـــي فـــاهـــنـــهـــا مـــتـــقـــبـــلا
يـــقـــول مـــن ذاق جـــنـــا شـــهـــدِهـــا
لـــلـــه مـــا أعـــذب مـــا أنـــهـــلا
أعـــجـــوبـــة تُـــعـــجـــب كـــل الـــورى
لـــكـــنـــهـــا تُـــعـــجـــز كـــلَّ الـــمـــلا
تـــكـــاد تُـــعَـــدُّ لـــه آيـــة
تُـــعـــجـــز مـــن قـــد رام أو مَـــثّـــلا
فـــلـــو يـــشـــاء مـــبـــتـــكـــرٌ مـــثـــلـــهـــا
قـــالـــت قَـــوافـــيـــهـــا الـــكـــلُّ: لا

---

(١) لم أعثر له على ترجمة.
(٢) زين الدين عبد الغني بن يوسف بن أحمد الهيثمي. ولد سنة ٨٠٣ بالقاهرة. وقرأ القراءات على عدد قراء عصره، واشتهر بهذا الفن. توفي بالقاهرة سنة ٨٨٦، رحمه الله «الضوء اللامع»: ٤/ ٢٥٩.
(٣) التضمين هو أن «يضمن الشاعر كلامه شيئاً من مشهور شعر الغير مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهوراً لدى نقّاد الشعر»، «جواهر البلاغة»: ٤١٦.
(٤) أي تُعرض وينظر إليها. «ترتيب القاموس»: (ج ل ا).

ومن تآليف الإمام الشاطبي قصيدته الرائية المسماة «عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد» الشاملة لنفائس الفرائد، الجامعة شوارد «المقنع» في أسلوب مبدع، فائقة نظرائها.

ومنها رائية في عدد آي السور التي نظم فيها تأليف الفضل ابن شاذان الرازي[١].

ومنها قصيدة دالية في خمسمائة بيت مَن حفِظها أحاط علماً بكتاب «التمهيد» لابن عبد البر النَّمَرِيّ حافظِ الإسلام[٢]، كما أفاده كثير من الأئمة الأعلام، ولم أقف عليها مع تطلّبي لها.

ومن نظمه في ظاآت القرآن العظيم:

رُبَّ حَظٍّ لكظم غيظ عظيم أظفر الظُّفر بالغليظ الظلومِ

وحِظار تُظل ظِلَّ حفيظ ظاميَ الظُّهر في الظلام كظيم

يقَظَ الظن، واعظَ كلِّ فظ لفظه كالتِّظا شواظ جحيم

---

(١) هو الإمام الفضل بن شاذان بن عيسى، أبو العباس الرازي. الإمام الكبير. ثقة عالم. لم يكن في دهره مثله في علمه وفهمه وحسن اطلاعه. مات في حدود التسعين ومائتين. «غاية النهاية»: ٢/ ١٠.

(٢) أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبيّ المالكي. ولد سنة ٣٦٨ بقرطبة. من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ، أديب، بحّاثة، يُقال له: حافظ المغرب. رحل رحلات طويلة وله مصنفات كثيرة. توفي بشاطبة سنة ٤٦٣. «الأعلام»: ٨/ ٢٤٠.

مـظـهـر لانـتـظـار ظـعـن ظـهـيـر
نـاظـر ذا الـعـظـم ظـهـر كـريـم(١)

ومن نظمه أيضاً في موانع الصرف:

دَعوا صرف جمع ليس بالفرد أَشكلا(٢)
وفَعلان فَعْلى(٣) ثم ذي الوصف أفعلا(٤)
وذي ألـف الـتـأنـيـث(٥) والـعـدل(٦)عِـدّة
والأعـجـمِ(٧) في التعريف خص مطولا

---

(١) بعض معاني هذه الأبيات قد تعسر على الفهم لصعوبتها ولكنّ الأصل فيها أنها ألفاظ مجموعة تحوي الكلمات القرآنية التي ورد فيها حرف الظاء، ففهم المعاني لا يهم هنا؛ ومثل هذا قول أهل التجويد في الحروف الشديدة: (أَجِدْ قَطٍ بكت)؛ إذ ليس لها معنى مفهوم، والله أعلم.

(٢) وهو صيغة منتهى الجموع: مفاعل ومفاعيل وغيرهما، وضابطه: كل جمع تكسير مفتوح أوله، وثالثه ألف زائدة ليست عِوضاً وبعدها حرفان أو ثلاثة أوسطها ساكن، ومكسور كسراً أصليّاً ولو تقديراً كدوابّ وعذارَى. انظر «ضياء السالك إلى أوضح المسالك»: ٣/ ٣٥٥.

(٣) أي: ما جاء على وزن (فَعْلان) ومؤنثه على وزن (فَعْلى) مثل: سكران، سكرى، غضبان، غضبى. المصدر السابق: ٣/ ٣٥٩.

(٤) أي: ما جاء من الصفات على وزن (أفعل) مثل أحمر وأبيض. المصدر السابق: ٣/ ٣٦٠.

(٥) أي: ما فيه ألف التأنيث مطلقاً مقصورة كانت أم ممدودة مثل ذِكرى، صحراء. المصدر السابق: ٣/ ٣٥٤.

(٦) يمنع الاسم من الصرف للوصفية مع العَدْل، والعَدْل له حالتان: الأولى: أن يكون الاسم أحد الأعداد العشرة الأولى وصيغته على وزن (فُعَال) أو (مَفْعَل) مثل: أُحاد ومَوْحَد، ثُلاث ومثلث. الأخرى: كلمة (أُخَر)، ومعنى العدل أن هذه الألفاظ عُدل بها عن ألفاظ أخرى. انظر «النحو الوافي» ٤/ ٢٢٢ ـ ٢٢٦.

(٧) العلم الأعجميّ يمنع من الصرف كإبراهيم وإسماعيل.

وذي العدل[١] والتركيب[٢] بالخلف والذي
بوزن يخصّ الفعل[٣] أو عايب علا
وما ألف مع نون أخراه زيدتا[٤]
وذي هاء وقف والمؤنث أثقلا[٥]

ومنه:

بكى الناس قبلي لا كمثل مصائبي
بدمع مطيع كالسحائب الصوائب[٦]
وكنا جميعاً ثم شتت شملَنا
تفرّق أهواءٍ عِراض المواكب
وكانت بقايا من قلوب فأصبحت
أيادي سبا[٧] بين اختلاف الركائب

(١) وهي المعرفة المعدولة مثل عُمَر عُدل عن عامر، وهي على خمسة أنواع، انظرها في «ضياء السالك»: ٣/ ٣٧٧ ـ ٣٨٥.
(٢) وهو المركب تركيباً مزجياً كبعلبك وحضرموت. المصدر السابق: ٣/ ٣٦٧ ـ ٣٦٨.
(٣) وهو العَلَم بوزن الفعل مثل يزيد، وهو على أنواع انظرها في «ضياء السالك» ٣/ ٣٧٢ وما بعدها.
(٤) وهو العلم المختوم بألف ونون زائدتان مثل رمضان وعمّان وبدران. انظر «النحو الوافي»: ٤/ ٢٣٣.
(٥) وذلك نحو عنترة، فاطمة، طلحة، أو علم لمؤنث بدون أن يكون مختوماً بهاء التأنيث نحو زينب، سعاد، صباح. المصدر السابق ٤/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧.
(٦) المطر «ترتيب القاموس»: (ص و ب).
(٧) أي متفرِّقة كتفرق سبأ في البلاد، ضرب المثل بهم لأنهم لمّا غرق مكانهم وذهبت جناتهم تبددوا في البلاد. «ترتيب القاموس»: (سبّ).

وقد كان حِلمُ القوم يغلب جهلهم
فيالَضياعِ الحلم حشو الحقائب

يمزقه آهاً تفاقُدُ أهله[١]
وتخلف أخلافٌ ذياب الثعالب

ألم تر أنَّ الدين يندب أهله
غريباً شريداً واحداً دون صاحب

إذا عُدَّ القرآن تتلى حروفه
وينسى حدوداً كُلَّ أُفْقٍ وجانب

يقول ألستم تؤمنون بربكم
مُنزِّلِ آيات الكتاب العجائب

فما لكمُ عنها عروضاً فما لكم
ولا بد من عرض على الله حاسب

لِمَن يترك القُراء وِرْدَ فُراته[٢]
وروداً من الدنيا أُجاج[٣] المشارب

وكيف تواصوا باتجاه وجوههم
لِغير مُحَيّاه خضوع الحواجب

أنا والذي فيْ واسألوا الله ستره
لما الفضل إلا فضلُه دون حاجب

---

(١) تفاقد أهله: فقد بعضهم بعضاً. المصدر السابق (فقد).

(٢) الماء العذب.

(٣) الماء المالح.

فـإنـي قـريـبٌ دونَ وهـمِ مـسـافـةٍ
ولـكـن بـعـيـدٌ كُـلَّ نـاسٍ مـجـانـبِ
رضـيـتَ فـلانـاً وهـو مـثـلـك عـاجـز
ومـا دون إذن اللهِ قـربٌ لـجـانـب
ومـا قـطّـع الأعـنـاقَ إلا اعـتـنـاقـهـا[1]
مـطـامـع أغـراض الـغَـرور الـكـواذب
ولـو سـمـع الـقـراء حـيـن اقـترائـهـم
لـفـي آل عـمـران كـنـوز الـمـطـالـب
بـهـا يـنـظـر الـدنـيـا بـعـيـن احـتـقـارهـا
فقيهُ المعاني غيرَ عاني[2] الذوائب[3]
تـمـشـت مـن الـدنـيـا كـؤوس خـداعـهـا
فـمـا كـأسٌ إلا صـائـمٌ غـيـرَ شـارب
ومن نظمه أيضاً:
يـلـومـونـنـي إذ مـا وجـدت مـلائـمـاً[4]
ومـا لـي مُـلـيـم حـيـن سُـمـتُ الـمـكـارمـا
وقـالـوا تـعـلّـم لـلـعـلـوم نَـفَـاقَـهـا[5]
بـسـحـر نـفـاق يـسـتـخـف الـعـزائـمـا

---

(١) أي اعتناق الدنيا.

(٢) أسير. «ترتيب القاموس المحيط» (عنى).

(٣) شَعْر الناصية، المصدر السابق (ذ أ ب)، والمعنى أنه ليس أسيراً للدنيا ومطامعها.

(٤) موافقاً.

(٥) النَّفَاق: الرواج. المصدر السابق: (ن ف ق). والمراد بـ (قالوا تعلم للعلوم...) الناصحون له بالتذلل لمن بيده الدنيا وخفض الجناح لهم.

وقَلِّب جناها حُوَّلا قُلَّبا[(١)] بما
يُدَلِّي أنوف الشامخات رواغما

وأن ينقلب عند الشراب شرابه
فكالمنجح المجهود عذراً مزاحما[(٢)]

ولا بد من مال به العلم يَعتلي
وجاهٍ من الدنيا يكفّ المظالما

ولولا مصابيح السلاطين لم تجد
على ظلمات السُّبْل بالحق قائماً

فخالطهمُ واصبر لذل حجابهم
تنل بهم عِزّاً يسميك عالما

ودونك يا من لا يرى النصح ذلة
سيُوسع[(٣)] فيك الشامتون المراحما

إذا لعبت صبيانهم بك وابتغت
شيوخهم فيك البروق البراجما[(٤)]

فقلت مجيباً[(٥)] ليس يسعدني سِوى
نَجِيِّ الحَشا والدمع ينهل ساجما[(٦)]

---

(١) في «ترتيب القاموس»: (ق ل ب): «وحُوَّلٌ قُلَّبٌ: محتال بصير بتقلب الأمور».
(٢) لم يتبين لي معنى هذا البيت، فالله أعلم.
(٣) في الأصل: ستوسع.
(٤) في الهامش: (الصروف القواسما): أي الحوادث المهلكات.
(٥) في الهامش: الكلام إلى قوله: (فقلت) على لسان اللائم له.
(٦) سائلاً، «ترتيب القاموس»: (سجم).

إلـى الله أشـكـو وحـدتـي فـي مـصـائـبـي
وهـذا زمـان الـصـبـر لـو كـنـت حـازمـا
وكـم زفـرة تـحـت الـضـلـوع يَـهِـيـجـهـا[١]
حكـيـم يـبـيـع الـعـلـم بـالـجـور حـاكـمـا
وكـان جـنـاب الـعـلـم يـسـمـو بـأهـلـه
إلـى طـيـب أنـفـاس الـحـيـاة نـواسـمـا[٢]
يَـرُدّون مـن دَرّت لـه زهـرة الـدُّنـا[٣]
إلـى نُـجْـعَـة[٤] الأخـرى فـيـرتـاد حـائـمـا[٥]
نـعـت لـهـمُ هِـمَّـاتُـهـم شـهـواتِـهـم
فـلـيـس لـهـم إلا رضـى الله سـائـمـا
بـهـم زانـت الأمـجـادُ نـظـمَ عـقـودهـا
وعـمـت نـجـوداً بـالـحُـلـى. . .[٦]
تَـفَـاخَـرُ[٧] أعـنـاق الـمـلـوك بـذلـهـا
لـهـم وتـرى الإقـبـالَ مـنـهـم مـواسـمـا

---

(١) يثيرها، «ترتيب القاموس»: (هـ ي ج).
(٢) لم أجد «نواسم» فيما رجعتُ إليه من معاجم، لعلّها جمع ناسم وهي الريح اللطيفة، والله أعلم.
(٣) أي الدنيا.
(٤) النجعة: طلب الكلأ من موضعه، «ترتيب القاموس»: (نجع).
(٥) حام فلان على الأمر حَوْماً: رامه، فهو حائم. انظر المصدر السابق: (ح و م).
(٦) في الأصل كلمة غير مقروءة.
(٧) أي تتفاخر.

وكـانـوا حـظـايـا بـالـقـنـاعـة غُـنَّـمـا
فـعـادوا رزايـا بـالـقُـنـوع[١] مـغـارمـا
سـرت[٢] عـنـهـم الأطـمـاع كـل عـنـايـة
فـمـا سـرت[٣] الـركـبـان إلا لـوائـمـا
وجلّت[٤] خطوب القوم في رُحَضَائهم[٥]
فـجَـلّـت[٦]عـن الأهـواء زُرقـاً أراقـمـا[٧]
وكـيـف تـنـاسـوا مـن فـعـال سـراتـهـم[٨]
مـخـافَـةَ يوم الـعـرض يُـحصي الـجرائـما
وأُلـفـتـهـم فـي نـصـرة الـحـق بـيـنـهـم
مـودتـهـم فـي الله يـحـيـي الأكـارمـا[٩]
ورحـمـتَـهـم كُـلَّ الـورى وجـنـابـهـم
عـلـى بـابـهـم حتى يقوموا الـروائـمـا[١٠]

---

(١) السؤال. «ترتيب القاموس»: (قنع).
(٢) في الهامش: سراعنه يَسْرو أي: كشف.
(٣) في الهامش: سرى يسري أي سار ليلاً.
(٤) عَظُمت.
(٥) العرق إثر الحمّى، أو عرق يغسل الجلد كثرة. «ترتيب القاموس»: (ر ح ض).
(٦) أظهرت.
(٧) أخبث الحيّات وأطلبُها للناس. المصدر السابق: (ر ق م).
(٨) أكابر القوم.
(٩) في الهامش: المكارما.
(١٠) رؤوم ورائمة ورائم بمعنى العطف والحنان، انظر المصدر السابق: (رئم).

وتحت ذيول الليل تجري دموعهم
تذوب على نار القلوب رواحما
تُطِير أعاجيبُ القران منامَهم
وتبتسم الأفكار عنها كمائما[١]
ولكن منارات الوصول إلى المُنى
تواصل أحزاناً وتُصلي سمائما[٢]
سوى أن في الأسحار بردَ مواهب
تهب بها الأرواح عِزّاً مهائما[٣]
أولئك أقوام بهم قامت العُلا
أقاموا لإجلال العلوم مَقاوما
ولِلعلم أعلام تبين لأهله
وخشيتهم لله تهدي العوالما
وما يعقل الأمثالَ إلّا قلوبهم
إذا ضُرِبت للعالمين دعائما
وهم شهداء الله لله معه والـ
ـملائك بالتوحيد والقسط قائما

(١) لم أجد هذا الجمع ولعله الأكمام وهو مفرد الكُمْ وهو: وعاء الطَّلع وغطاء النَّوْر [الزهر]. المصدر السابق (كمم).
(٢) جمع السَّمُوم، وهي الريح الحارّة. المصدر السابق: (سمّ).
(٣) لم أجد معنى لها، ولعلها حُرِّفت.

تعرَّوْا وجاعوا والهواجرَ أظمؤوا
والأَقدامَ صَفّوا والجباهَ أوارما[١]
عليك بالاسترجاع إنك فاقد
حياةَ العُلا راءٍ مع السَّلْوِ[٢] نادما
عليك سلام الله ما عشت عَيْلةً[٣]
تحيّة من أودعته منك جاحِما[٤]
وودعته بين المهالك تائهاً
لما كان يرجوه لديك شوائما[٥]
بوارق لا أبكي سواها مواطرا
ولا أشتكي إلا لهنّ كواظما

ومن نظمه:

قل للأمير نصيحة
لا تركننّ إلى فقيه
إن الفقيه إذا أتى
أبوابكم لا خير فيه

---

(١) لعلّ المراد الوَرَمُ الذي يصيب الأقدام من طول القيام.
(٢) النسيان «ترتيب القاموس»: (سلو).
(٣) العَيْلة: الفقر. المصدر السابق: (ع ي ل).
(٤) الجاحِم: الجمر الشديد الاشتعال. المصدر السابق (ج ح م).
(٥) لم أجد للكلمة معنى، والله أعلم.

الباب السابع[1]

في ذكر مَنْ علمته شرحهما أو نسَج على منوال أولاهما[2]

(١) الباب السادس قد أسقطه وهو يحوي أسانيد اللامية والرائية من المصنف إلى الشاطبي رحمه الله تعالى، وهو أمر يطول بدون طائل لعامة القرّاء.

(٢) أي: اللاميّة، وهي القصيدة المعروفة بالشاطبية.

الباب السابع
في ذكر مَنْ علمته شرحهما أو نسَج على منوال أولاهما

[١] اعلم: أنه قد اتفق الجمهور على أن أول شارح لهما الإِمام علم الدين السخاويّ، وسمى شرحَ اللامية: «فتح الوصيد».

[٢] قال الشيخ أبو إسحاق الجعبريّ:

وكُلٌّ كَلٌّ[(١)] على فاتح وصيدها[(٢)]، ومانح نضيدها الشيخ العلامة، تاج القراء، سراج الأدباء، علم الدين السخاويّ؛ لأنه قرأها على مؤلفها غير مرة، وهو أعلم بها من غيره من الشارحين. انتهى.

[١] وقال ابن الجزريّ:

بل هو والله السبب في شهرتها في الآفاق، وإليه أشار الشاطبيّ بقوله: يقيض الله لها فتىً يشرحها[(٣)].

---

(١) عيال [أي: معتمد]: «ترتيب القاموس»: (كلّ).
(٢) الوصيد: المطبَق، المصدر السابق: (و ص د).
(٣) قال الشيخ أبو شامة في مقدمة كتابه «إبراز المعاني» في شرح الشاطبية: «حكى لنا بعض أصحابنا أنه سمع بعض الشيوخ المعاصرين للشاطبي يقول: لُمته في نظمه لها لقصور الأفهام عن دركها، فقال لي: يا سيدي هذه يقيض الله لها فتى يبينها، أو كما قال، قال: فلمّا رأيت السخاويّ قد شرحها علمت أنه ذلك الفتى الذي أشار إليه».

وسمى شرح «الرائية»: «الوسيلة إلى شرح العقيلة».

وشرح اللاميةَ العلامةُ الكبير شهاب الدين عبد الرحمن أبو شامة[(١)] تلميذ العلم السخاويّ شرحين: مطولاً لكنه كما قال ابنُ الجزريّ لم يكمل، ومختصراً وهو المشهور[(٢)].

وكذا شرحها أيضاً الإِمام علم الدين القاسم بن أحمد[(٣)] شرحاً متوسطاً، وله اليد الباسطة في العربية.

وشرحها المنتجِب ابن أبي العز رشيد الهَمَذانيّ المقرئ النحويّ منتجِب الدين أبو يوسف، قال أبو شامة: توفي سنة ثلاث وأربعين وستمائة وانتفع بشيخنا السخاويّ في معرفة قصيدة الشاطبيّ، ثم تعاطى شرحها فخاض، ثم عجز عن سباحته وجحد حق تعليم شيخنا له وإفادته.

وقال ابن الجزريّ: في شرحه للقصيدة مواضع بعيدة عن التحقيق وذلك أنه لم يقرأها على الناظم ولا على من قرأ عليه.

وشرحها الإِمام أبو عبد الله جمال الدين محمد بن حسن بن محمد بن يوسف الغزاليّ الفاسي المقرئ نزيل حلب[(٤)] وسماه «اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة» وقد قرأ على اثنين من أصحاب الشاطبي.

---

(١) عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسيّ الدمشقي، مؤرخ محدث باحث، ولد في دمشق وتوفي بها سنة ٦٦٥هـ «الأعلام»: ٣/ ٢٩٩.

(٢) وهذا الشرح مطبوع متداول، واسمه «إبراز المعاني من حرز الأماني»

(٣) القاسم بن أحمد بن الموفق اللُّورقَي الأندلسي، رحل إلى العراق والشام، وتوفي بدمشق سنة ٦٦١هـ «الأعلام» ٨: ٥/ ١٧٢.

(٤) ولد بفاس سنة نيف وثمانين وخمسمائة، وقدم مصر، كان إمام متقناً واسع العلم بصيراً بالقراءات وعللها. توفي سنة ٦٥٦هـ. «معرفة القراء الكبار»: ٢/ ٦٦٨ ـ٦٦٩.

قال الذهبي: وشرحه في غاية الحسن.

ومنهم عبد الرحمن بن أبي القاسم الأزديّ التونسيّ المعروف بابن الحداد[١] وهو ممّن قرأ على الشاطبيّ، وسمع من ابن بَرِّي النحويّ[٢]، وتحول في آخر عمره إلى الغرب، فسكن مَرّاكُش وعمل شرحاً على الشاطبية.

[١] قال ابن الجزريّ: ويحتمل أن يكون هو أول من شرحها.

وشرحها العلامة المحقق إبراهيم بن عمر الربعيّ الجعبري المقرئ الشافعي ـ نزيل مدينة إبراهيم الخليل، عليه الصلاة والسلام ـ شرحاً بديعاً كاملاً في معناه لم يسبق إليه سابق، ولا لحق فيه لا حق، سماه «كنز المعاني في شرح حرز المعاني»[٣].

وكذا شرح العقيلة أَيضاً شرحاً جليلاً.

وشرحها أيضاً الإِمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد ابن أحمد بن الحسين الموصليّ المقرئ الحنبليّ المعروف بـ «شعلة»، وكان شاباً متواضعاً فاضلاً مقرئاً محققاً، ذا ذكاء مفرط وفهم ثاقب، ومعرفة تامة بالعربية، صالحاً زاهداً، توفي في سنة خمسين وستمائة[٤] بالموصل وله ثلاث وثلاثون سنة. من نظر في شرحه عرف قدره.

---

(١) علامة أستاذ، ولد بعد الخمسين وخمسمائة، رحل فقرأ على الشاطبي ثم تحول إلى المغرب ومات بمراكش سنة ٦٢٥ تقريباً «غاية النهاية»: ١/ ٣٦٦.

(٢) عبد الله بن بَرِّي بن عبد الجبّار المقدسيّ الأصل، المصريّ. أبو محمد ابن أبي الوحش. من علماء العربية النابهين. ولد ونشأ بمصر، وتوفي بها سنة ٥٨٢هـ. «الأعلام»: ٤/ ٧٣.

(٣) وهو مطبوع متداول.

(٤) اتفق الذهبي وابن الجزريّ أنه توفي سنة ٦٥٦هـ. انظر «معرفة القراء الكبار» ٢/ ٦٧٢، و «غاية النهاية»: ٢/ ٨١.

وسمى شرحه: «كنز المعاني في شرح حرز الأماني»[١]، فتوارد الجعبريّ في تسميته[٢]، واعتذر الجعبريّ معه في ذلك في آخر شرحه بأنه لم يكن سمع به.

ومنهم الإمام أبو البقاء علي بن عثمان بن محمد العُذْرِيّ المصري المشهور بابن القاصح[٣] [شرحها][٤] شرحاً لطيفاً كثير الفوائد[٥]. وكذا شرح العقيلة.

وكذا شرحها فيما بلغني العلامة الحافظ الكبير جلال الدين عبد الرحمن الأسيوطيّ الشافعي[٦] تغمده الله برحمته ورضوانه وأسكننا معه في بحبوحة جناته، وقد قال لي غير واحد عنه إنه قال إنَّه لم يكن له في القراآت شيخ، والله يهب من يشاء ما يشاء لا مانع لما أعطى.

قلت: وقد كتبت عليها توضيحاً مسايراً لها مبيِّناً لبعض ما فيها من معاني المباني، كافلاً من أعاريب قراآتها بغُرر وجوه التّهاني وسميته بـ «الفتح الداني من كنز حرز الأماني» نفع الله به كما نفع بأصله.

---

(١) شرحه مطبوع متداول.

(٢) أي سمّاه المسمّى نفسَه.

(٣) عالم بالقراءات، شافعي المذهب، متصدر، توفي سنة ٨٠١هـ «الأعلام»: ٤/ ٣١١، «غاية النهاية»: ١/ ٥٥٥.

(٤) زيادة لا بد منها.

(٥) وهذا الشرح مطبوع متداول واسمه: «سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي».

(٦) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، إمام، حافظ، مؤرخ، أديب. توفي بالقاهرة سنة ٩١١هـ. «الأعلام»: ٣/ ٣٠١ ـ ٣٠٢.

وقد اختصر اللاميةَ الإِمامُ جمال الدين بن مالك الطائي الجيّانيّ الشافعيّ شيخ النحاة في عصره، نزيل دمشق[١]، وسماه «حرز المعاني في اختصار حرز الأماني» على رويِّها وقافيتها ورموزها.

ومنها قوله في أواخرها:

وزادت على حرز الأماني إفادة

وقد نقصت في الجرم[٢] ثلثاً مكملاً

وهي قصيدة بديعة ولكن أين الثريا من يد المتناول.

[١] وقد شاع عند الطلبة أن كلاً من الشاطبيّ ابن فِيْرُّه وابن مالك أعلم من الآخر من الفن الذي اشتهر به، وأنهما كانا متقاربين، وهذا وهم؛ لأن الشاطبي متقدم الوفاة على ابن مالك؛ لأنه توفي في جمادى الآخرة سنة تسعين وخمسمئة، وولد سنة ثمان وثلاثين وخمسمئة، وابن مالك ولد سنة ستمئة، وتوفي في ليلة الأربعاء ثالث عشر شعبان سنة اثنتين وسبعين وستمئة.

[٢] وذكروا أيضاً أن ابن مالك لم يكن له شيخ في العربية، ولا في القراآت وهو باطل ـ أيضاً ـ لأنه أخذ القراآت والعربية عن العلم السخاويّ، والعربية عن الأستاذ أبي علي محمد بن محمد بن عبد الله الأزديّ المعروف بـ «الشَّلَوْبِين»[٣] وغيره من أئمة العربية.

---

(١) محمد بن عبد الله بن مالك. أحد أئمة العربية. ولد في جَيّان من الأندلس وانتقل إلى دمشق فتوفي فيها سنة ٦٧٢هـ «الأعلام»: ٦/ ٢٣٣.

(٢) الحجم.

(٣) جاء اسمه في «الأعلام»: عمر بن محمد بن عمر، وكذلك في «إنباه الرواة» ٢/ ٢٤٤، وفي «بُغية الوعاة في تراجم النحويين واللُّغات»: ٢/ ٢٢٤، وهو من كبار العلماء في النحو واللغة، ولد ومات بإشبيلية سنة ٦٤٥هـ. و «الشَّلَوبين» نسبة إلى حصن أو مدينة أو هو لقب لا نسبة. انظر «الأعلام»: ٥/ ٦٢.

قال ابن الجزريّ: وقد أخذ ابن مالك العربية عن غير واحد من الأئمة؛ غير أني لا أعلم أحداً قرأ عليه القراءات، ولا أسندها عنه. انتهى.

ونسج جماعة على منوالها، منهم الأستاذ أبو حيان[١] في وزنها ورَويِّها، ولم يأت فيها برمز، وزاد على «التيسير» كثيراً.

ولم يأت أحد فيما علمته في هذا الباب بمثل ما أتى الشاطبي، فالله تعالى يتغَمَّده برحمته، ورضوانه، ويُسكننا معه في بحبوحة جنانه بمنه وكرمه! ورحم الله عبداً قال: آمينا[٢]!

---

(١) محمد بن يوسف بن علي الغرناطي الأندلسيّ، أثير الدين. من كبار علماء العربية، ولد في غرناطة، وتنقّل إلى أن أقام بالقاهرة وتوفي بها ـ بعد أن عَمِي ـ سنة ٧٤٥. انظر «الأعلام»: ٧/ ١٥٢.

(٢) حذفت عدداً من الكتب التي أوردها القسطلاني في هذا الباب، وعددها خمس وعشرون كتاباً بين شرح، ومختصر ـ طلباً للاختصار ـ وأثبتّ من الشروح كلَّ ما فيه فائدة مهمة للقارئ.

الباب الثامن

في سرد أسماء من حضرني ممن أخذ عنه من الأئمة الأعلام علماء الإسلام وطبقاتهم العلية وأحوالهم المرضية

الباب الثامن
في سرد أسماء من حضرني ممن أخذ عنه من الأئمة الأعلام علماء الإِسلام وطبقاتهم العلية وأحوالهم المرضية

فمنهم الإِمام علم الدين أبو الحسن عليّ بن عبد الصمد الحمدانيّ السخاويّ المقرئ المفسر شيخ القراء بدمشق في زمانه.

أقرأ الناس نيِّفاً وأربعين سنة بجامع دمشق، فقرأ عليه خلق كثير منهم العلامة أبو شامة.

وكان أماماً، محققاً، نحوياً، عارفاً بمذهب الشافعيِّ والأصول، واللغة مع براعته في التفسير، وأحكامه، بصيرٌ بالأدب، وفصاحته بالشعر، وطول باعه في النثر(١)، مع الدين والمروءة والتواضع.

[١] ورُوِّينا عن ابن خَلِّكان: أنه رأى السخاويّ مراراً راكباً بهيمةً إلى الجبل، وحوله اثنان وثلاثة(٢) يقرؤون عليه دَفعةً واحدة، في أماكن من القرآن مختلفة، وهو يردُّ على الجميع. انتهى.

وقد قدح الحافظ الذهبيّ في صحة التحمل عنه على هذه الصفة معللاً بوجوه من التعاليل القادحة، منها: زوال بهجة القرآن عند

---

(١) كذا العبارة وفيها اضطراب.

(٢) في الأصل: «ثلاثون»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (٣/ ٣٤١).

السامعين، وأن كل واحد يشوش على الآخر مع كونه مأموراً بالإنصات، ومنها: أنَّ القارئ منهم لا يجوز له أن يقول: قرأت القرآن على الشيخ وهو يسمع ويعي ما أتلوه عليه، كما لا يسوغ للشيخ أن يقول لكل فردٍ منهم قرأ عليّ فلان القرآن جميعَه؛ وأنا أسمع قراءته، فإن هذا ليس في قوة البشر بل هذا في مقام الربوبية. قالت عائشة رضي الله عنها: «سبحان من وسع سمعه الأصوات»[١]، وإنما يصحح التحملَ إجازةُ الشيخ للتلميذ، لكن تصير الراوية بالقراءة إجازة لا سماعاً من كل وجه. انتهى.

لكن قال ابن الجزري: في النفس مما قاله الذهبيّ شيء، ألم يسمع إلى قوله[٢]: وهو يرد على الجميع، مع أن السخاويّ لا شك في ولايته[٣].

[١] وقد أخبرني جماعة من الشيوخ الذين أدركتهم عن شيوخهم أن بعض الجن كان يقرأ عليه. انتهى.

[٢] قلت: وفي ترجمة أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن الحسن الاستراباذيّ من تاريخ سمرقند[٤] أنه كان يكتب وهو يتلو القرآن ظاهراً لا يمنعه أحد الأمرين عن الآخر.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد، وأخرج البخاريّ: «الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات» معلّقاً بصيغة الجزم في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى (وكان الله سميعاً بصيراً).

(٢) أي ابن خلكان.

(٣) الإمام ابن الجزريّ أرجع ذلك لباب الكرامات، والحافظ الذهبيّ قدح في ذلك لأن العادة تحيله، والله أعلم.

(٤) لم أعثر له على ترجمة.

[١] وفي تاريخ مكة للفاسيّ في ترجمة محمد بن إسماعيل بن يوسف الحلبيّ[١] أنه كان يقرأ في موضع من القرآن، ويُقرأ عليه في موضع آخر، ويكتب في موضع آخر فيصيب فيما يقرؤه ويكتب وفي الرد بحيث لا يفوته شيء من ذلك.

ولا يخفى ما في ذلك من التشاغل والتفريط والله الموفق.

وولد السخاويّ سنة ثمان أو تسع وخمسين وخمسمائة، وتوفي سنة ثلاث وأربعين وستمائة.

وممّن قرأ على الشاطبيّ أبو موسى عيسىٰ بن يوسف المقدسيّ[٢].

والزين: زين الدين محمد بن عمر بن الحسين، قرأ اللاميّة على ناظمها الشاطبيّ، وكان من كبار القرّاء[٣].

ومنهم أبو عبد الله محمد بن عمرو بن يوسف الأنصاريّ القرطبيّ، الفقيه، المالكيّ، الزّاهد[٤]، قرأ عليه القراءات واللّاميّة والرّائية وجلس للإقراء بعده بالفاضلية، ولم يسمع أحد من الشاطبيّ الرّائية كاملة ـ فيما نقلوا ـ سواه وسوى التُّجيبيّ[٥].

---

(١) قرأ القرآن العظيم بالقراءات السبع على نيف وعشرين شيخاً، وكتب مائة وأربعة وثمانين مصحفاً بقطع لطيف وكبير جميعها مكتوباً ومضبوطاً على الرسم العثماني، وكتب ذلك من صدره، وأزيد من ربع هذا العدد مكتوب بالقراءات السبع، وقد كتب مصحفاً على الرسم العثماني في ثمانية عشر يوماً ولياليها. انظر «العقد الثمين» ١/ ٤١٦ ـ ٤١٨.

(٢) لم أعثر له على ترجمة.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) لم أعثر له على ترجمة.

(٥) ستأتي ترجمته.

وللقرطبيّ أبيات انفرد بروايتها عنه، وكذلك اللاميّة بيتان أحدهما في البقرة، ولم أقف على شيء من ذلك. توفي سنة إحدى وثلاثين وستمائة.

وممن أخذ عنه علي بن أبي بكر محمد بن موسى العلّامة جمال الدين أبو الحسن التجيبيّ المقرئ، قرأ عليه بالسبع إفراداً وجمعاً، وسمع منه قصيدته اللامية والرّائية، وتصدّر للإقراء بالشام سنة إحدى وستمائة، وتوفي سنة ست وعشرين وستمائة.

ومنهم محمد بن محمد بن وضّاح، أبو بكر اللخميّ الأندلسيّ الشُّقريّ، أخذ عنه القراءات وسمع منه «حرز الأماني»، وهو الذي أدخل الشاطبيّة إلى بلاد المغرب والأندلس ورواها لهم. توفي في سنة أربع وثلاثين وستمائة.

ومنهم الإمام أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر الكرديّ الدوني الأصل الإِسنائيّ المولد المشهور بـ «ابن الحاجب» المقرئ، المالكيّ، النحويّ، الأصوليّ. ولد سنة سبعين أو إحدى وسبعين وخمسمائة بـ «إسنا» من عمل الصعيد بمصر. حفظ القرآن وقرأ ببعض الروايات على الشاطبيّ وسمع منه التيسير، وتأدّب على الشاطبيّ. وكان حادّ القريحة، وصنّف التصانيف المتنافَسَ فيها. وتوفي سنة ست وأربعين وستمائة.

ومنهم عليّ بن هبة الله بن سلامة الإِمام بهاء الدين أبو الحسن اللخميّ ابن الجُمّيزيّ المصري الشافعيّ المقرئ الخطيب، أحد الأعلام. قرأ على الشاطبيّ عدة ختمات ولم يكمل عليه القراءات، وهو من طبقة الشاطبيّ في بعض الروايات.

قال الذهبيّ: وأنا أتعجب من القرّاء كيف لم يزدحموا عليه؛ لأنه كان أعلا أهل زمانه إسناداً في القراءات فلعل المانع من جهته. توفي سنة تسع وأربعين وستمائة، وقد جاوز التسعين.

ومنهم كمال الدين علي بن سالم بن علي العباسيّ الهاشميّ المقرئ المصريّ الشافعيّ شيخ القرّاء بالديار المصريّة في زمانه.

تزوج بابنة الشاطبيّ ورزق منها الأولاد. توفي سنة إحدى وستين وستمائة[(١)].

ومنهم يوسف بن جعفر بن عبد الرزّاق، الشيخ مكين الدين أبو الحجاج الأنصاري البغداديّ المقرئ. سمع «حرز الأماني» ـ كما ذكر ـ من لفظ ناظمها، ورواها سنة ثمان وثلاثين وستمائة ببغداد.

ومنهم عبد الرحمن بن أبي القاسم الأزديّ التونسي المعروف بـ «ابن الحدّاد»، العلّامة الأستاذ، رحل إلى الشاطبي فقرأ عليه[(٢)].

ومنهم محمد بن قاسم بن فِيْرُّه، الجمال أبو عبد الله الشاطبيّ، ولد صاحب الترجمة وبقي إلى سنة خمس وعشرين وستمائة، وعاش نحو الثمانين سنة.

ومنهم عبد الله بن محمد بن عبد الوارث، معين الدين أبو الفضل ابن المعالي الأنصاريّ المصريّ المعروف بـ «ابن الأزرق» وبـ «ابن فار اللبن» وبـ «قارئ مصحف الذهب». سمع اللاميّة على ناظمها وطال

(١) قرأ القراءات السبع سِوى رواية أبي الحارث ـ في تسع عشرة ختمة على الشاطبيّ ـ ثمّ قرأ عليه بالجمع للسبعة حتى إذا انتهى إلى سورة الأحقاف توفي الشاطبيّ «غاية النهاية»: ١/ ٥٤٤.

(٢) تقدمت ترجمته.

عمره فكان آخر من روى عن الشاطبيّ في الدنيا، وبقي إلى سنة أربع وستين وستمئة، ورواها عنه قاضي القضاة بدر الدين محمد بن إبراهيم ابن جماعة، وهو آخر من روى عنه[(١)].

وبالجملة فقد بارك الله تعالى لصاحب الترجمة في تصنيفه وأصحابه.

قال ابن الجزريّ: فلا نعلم أحداً أخذ عنه إلّا قد أنجب، والله الموفق وبه المستعان[(٢)].

---

(١) أبو عبد الله الكنانيّ الحمويّ الشافعيّ. من علماء الحديث. ولد في حماة سنة ٦٣٩، وولي الحكم والخطابة بالقدس ثم القضاء بمصر، فقضاء الشام، ثم قضاء مصر إلى أن شاخ وعمي، له مصنفات عديدة. توفي بمصر سنة ٧٣٣.
وقال ابن الجزري ـ رحمه الله ـ في «غاية النهاية»: ٢/ ٢٢ ـ ٢٣: «ومن أعجب ما اتّفق عليه للشاطبية في عصرنا هذا أنّ به من بينه وبين الشاطبيّ باتصال التلاوة والقراءة رجلين؛ مع أن للشاطبيّ يوم تبييض هذه الترجمة [أي ترجمة الشاطبي في «غاية النهاية»] مئتي سنة، وهذا لا أعلم أنه اتفق في عصر من الأعصار للقراءات السبع، وإن كان اتفق في بعض القراءات وقتاً ما، وما ذلك إلا لشدة اعتناء الناس بها، ومن الجائز أن تبقى الشاطبية باتصال السماع بهذا السند إلى رأس الثمانمائة فإن من أصحاب القاضي بدر الدين ابن جماعة اليومَ جماعة».

(٢) ذكر المصنفون له تلاميذ غير هؤلاء، فقد ذكر ابن الجزريّ في «غاية النهاية» ٢/ ٢٣ أن من تلاميذه: «السديد عيسى بن مكي، ومرتضى بن جماعة بن عبّاد، وأبو القاسم عبد الرحمن بن سعيد الشافعيّ»، وذكر الذهبي في «معرفة القراء»: ٢/ ٥٧٤ أنه «روى عنه أبو الحسن بن خيرة وحدّث عنه محمد بن يحيى الجنجاليّ». وذكر في «الذيل والتكملة»: ٥/ ٢/ ٥٤٩ أن من تلاميذه فخر الدين محمد بن أحمد بن الحسن السجزيّ، وركن الدين ابن عبد الرحمن السَرَقُسْطيّ، وحدّث عنه بالإجازة خلق كثير منهم أبو العبّاس العزفيّ.

الباب التاسع

في ذكر وفاته ونقلته لرياض روضته

الباب التاسع
في ذكر وفاته ونقلته لرياض روضته

لم يزل ـ رحمه الله ـ بالمدرسة الفاضلية يُقرئ العلوم السنية، ويَرفد[١] الطلبة بفرائد الفوائد، ويمنحهم بالصلة، والمعائد[٢]، ويمدهم من موائد علومه النافعة أشرف موائد، ويوردهم من مناهلها أعذب موارد حتّى قرب رحيله إلى دار القرار، جناتِ عدن منزل المتقين والأبرار.

[١] وقد كان فما رُوِّيناه عنه يعتل العلة الشديدة ولا يشتكي ولا يتأوّه، وإذا سئل عن حاله قال: العافية، لا يزيد على ذلك.

قلت: ولعله كان يفعل ذلك لِما ذكره بعض العلماء أن كثرة الشكوى تدل على ضعف اليقين، وتشعر بالسخط للقضاء الحاكم به ربُّ العالمين، مع ما فيه من شماتة الأعداء، والحاسدين.

في «الزهد» للإمام أحمد عن طاووس[٣]: أنه قال:

---

(١) يعطي ويمنح «ترتيب القاموس» (ر ف د).

(٢) لعلها جمع عائدة، وهي الصلة والهديّة.

(٣) طاوس بن كَيْسيان الخولانيّ الهَمْذانيّ بالولاء، أبو عبد الرحمن، من أكابر التابعين تفقهاً في الدين ورواية للحديث وجرأة على وعظ الخلفاء والملوك. أصله من الفرس ومولده ونشأته باليمن، توفي حاجاً سنة ١٠٦هـ «الأعلام»: ٣/ ٢٤٤.

«أنين المريض شكوى»(١).

وجزم الإِمامان أبو الطيب(٢) وابن الصباغ(٣) وجماعة من الشافعية أن تأوه المريض مكروه.

لكن قال النووي: إن هذا ضعيفٌ، أو باطلٌ، فإنَّ المكروه ما ثبت فيه نهيٌ مقصود وهذا لم يثبت فيه، واحتج بحديث عائشة المرويّ في البخاري من قول النبي ﷺ في مرض موته: «وارأساه»(٤)... الحديث.

قال: فلعلهم أرادوا بالكراهة هنا خلاف الأولى، فإنه لا شك أن اشتغال المريض بالذكر أولى من الأنين والتشكي، أما إخبار المريض صديقَه أو طبيبه عن حاله فلا بأس به اتفاقاً، فليس ذكر الوجع شكاية فكم من ساكت وهو ساخط، وكم من شاكٍ وهو راضٍ، فالمعول به في ذلك على القلب لا على نطق اللسان.

[١] وقد كان الشاطبي كثيراً ما ينشد متمثلاً هذا اللغز وهو في نعش الموتى، وهو هذا:

---

(١) كان بعض السلف ـ كطاوس ـ يقول ذلك من باب كمال الأدب مع الله لا أنهم يقصدون مطلق الشكوى المنهيّ عنها، والله أعلم.

(٢) سهل بن محمد بن سليمان الصعلوكيّ النيسابوريّ، مفتي نيسابور وابن مفتيها. توفي سنة ٣٨٧. «الأعلام»: ٣/ ١٤٣.

(٣) عبد السَّيِّد بن محمد بن عبد الواحد، أبو نصر، فقيه شافعي من أهل بغداد ولادة ووفاة. عمِيَ في آخر عمره وتوفي سنة ٤٧٧، «الأعلام» ٤/ ١٠.

(٤) الذي وجدته في البخاريّ هو من قول عائشة، والله أعلم، انظر صحيح البخاري: كتاب الطب: باب قول المريض إني وَجع، أو: وارأساه، أو: اشتد بي الوَجَع، وقول أيوب عليه السلام: «أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين».

أتعرف شيئاً في السماء يطير[(١)]
إذا سار الناس حيث يسير
فتلقاه مركوباً وتلقاه راكباً
وكل أمير يعتليه أسير
يحضُّ على التقوى ويُكره قربه
وتنفر منه النفس وهو نذير
ولم يَستزِر عن رغبة في زيادة
ولكن على رغم المزور يزور[(٢)]

ولما توفي الشاطبي وآن حِمامه، ونقضت من أجله أيامه، فاضت ـ حين فاضت روحه ـ الدموع، واسترجع كل أحد حيث لم يكن له إلى الدنيا رجوع، ولقد نقصت بموته الأرض من أطرافها، وعُدَّ من أشواط الساعة وإرجافها[(٣)].

وقد قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [الرّعد: ٤١]: إنَّ خرابها بموت علمائها وصلحائها وشرفائها، وكذا قال مجاهد[(٤)].

وقال ابن مسعود:

---

(١) في المخطوطة (نظيره) وهو تحريف.
(٢) هذه الأبيات الأربعة للخطيب أبي زكريا يحيى بن سلامة الحصكفيّ كما في «وَفيات الأعيان» ٤/ ٧٢.
(٣) زلزالها واضطرابها. «ترتيب القاموس»: (رجف).
(٤) أخرج ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله»: ٢٠٦ عن مجاهد قال: «نقصانها: خرابها وموت أهلها».

«موت العالم ثُلمة في الإِسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار»[(١)].

عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ. قال: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينزعه من الناس ولكن يقبض العلماء، فإذا لم يَبْقَ عالمٌ اتخذ الناس رؤساءَ جهالاً فأفتَوْا بغير علم فضلوا وأضلوا».

وهذا حديث صحيح اتفق على إخراجه الشيخان[(٢)].

وكانت وفاة الشاطبي بعد صلاة العصر يوم الأحد ثامن عشرين جمادى الآخرة سنة تسعين وخمسمائة عن اثنتين وخمسين سنة. ودفن يوم الاثنين بتربة القاضي عبد الرحيم بن علي بن الحسن القاضي اللخميّ العسقلانيّ المصري، صاحب دواوين الإِنشاء ووزير السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وصديقه وعضده[(٣)].

وقد رثى الإِمام الشاطبيّ الشيخُ أبو إسحاق إبراهيم الجعبريّ فقال:

سقت سحب الرضوان طلّا ووابلا[(٤)]

ثرىً ضمّ شخص الشاطبيّ المسدَّدِ

---

(١) أخرج ابن عبد البر في «جامع بيان العِلم وفضله» / ٢٠٣ عن الحسن قال: «موت العالم ثلمة في الإِسلام لا يسدها شيء ما اطرد الليل والنهار».

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، وأخرجه مسلم في كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه، وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، وفي الحديث الذي أورده القسطلاني اختلاف يسير عن راوية الشيخين.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) الطل: المطر الضعيف، الوابل: المطر الشديد الضخمُ القطر. «ترتيب القاموس»: (طلل)، (وبل).

إمــــامٍ فـــريـــدٍ بـــارعٍ مـــتـــورعٍ
صـــبـــورٍ طـــهـــور ذي عـــفـــاف مـــؤيَّـــدِ

زكـا عـلـمـه فـاخـتـاره الـنـاس قـدوة
فـــكـــم عـــالـــم مـــن دُرِّه مـــتـــقـــلِّـــدِ

هـــنـــيـــئـــاً ولـــيَّ الله بـــالـــخـــلـــد ثـــاويـــاً
بـــعـــيـــش رغـــيـــد فـــي ظـــلالٍ مـــؤبّـــدِ

عـــلـــيـــك ســـلام الله حـــيَّـــا ومـــيـــتـــاً
وحُـيـيـت بـالإكـرام يـا خـيـر مُـرشـد[1]

فالله تعالى يحسن فيه الأجر، ويغيثنا عند المصائب بجميل الصبر[2].

هذا آخر ما منّ الله تعالى به من فيض المكارم بسيرة الشاطبيّ أبي القاسم، والله أسأل أن يجعل ذلك خالصاً لوجهه الكريم، مخلصاً من شوائب الرياء ودواعي التعظيم، وأن يصلي ويسلم على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وآلِ كلٍّ والصالحين، وسلّم تسليماً أبد الآبدين،

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) قد حذفت عدداً من المراثي طلباً للاختصار.

(٢) الباب العاشر «في ذكر أحاديث عاليات رُوِّيناها من طريق الشاطبيّ وغيره موافقات للأئمة المصنفين من الثقات». هذا وقد رأيت حذف هذا الباب ـ وهو الباب الأخير ـ لعدم تعلقه بترجمة الشاطبيّ.

ملحق بأخبار الشاطبيّ التي لم يوردها القسطلاني

رأيت في نهاية كتاب «الفتح المواهبي» أن أضيف بعض الأخبار المبثوثة في كتب التراجم التي لم ترد في كتاب القسطلاني رحمه الله، وهذا حتى يكون الكتاب قد حوى جميع ما تناثر من لآلئ أخبار الإمام الشاطبيّ رحمه الله تعالى.

أخبار متناثرة عن شعره وتآليفه

أورد الحافظ الداوديّ له بيتين وهما:

خالطتُ أبناء الزمان فلم أجد

من لم أرُم منه ارتياد المَخْلص[1]

رَدُّ الشباب وقد مضى لسبيله

أهيا وأمكن من صديق مُخلص[2][3]

---

(١) الارتياد: الطلب.

(٢) المعنى أن تصوُّرَ ردَّ الشباب بعد المشيب أقرب وأسهل من وجود الصديق المخلص.

(٣) «طبقات المفسرين»: ٢/ ٤٦، وقد أوردهما المقرّي في «نفح الطيب»: ٢/ ٢٣٤ مع اختلاف يسير

وقد ذكر الإمام المقَّرِيُّ أنَّ الأمير عز الدين موسك ـ الذي كان والدُ ابنِ الحاجبِ حاجباً له ـ بعث إلى الشيخ الشاطبيّ يدعوه إلى الحضور عنده، فأمر الشيخ بعض أصحابه أن يكتب إليه:

قــــل لـــــلأمـــــيــــر مـــــقـــــالـــــةً
مـــــن نـــــاصـــــح فـــــطـــــن نـــــبـــــيـــــه

إن الـــــفـــــقـــــيـــــه إذا أتـــــى
أبـــــوابـــــكـــــم لا خـــــيـــــر فـــــيـــــه[١]

وجاء في «معجم الأدباء» لياقوت الحمويّ أن شعره كان «عَقِداً صعباً لا يكاد يُفهم»[٢]، وهذا صحيح إن أريد به العموم، وإلّا فله أبيات في غاية العذوبة والسهولة، والله أعلم.

وقد نسب إليه صاحب «كشف الظنون» كتاب: «تتمة الحِرْز من قراء الأئمة أئمةِ الكنز» وقال عنها: «قصيدة كالشاطبية في رواة القراءات السبع» ولم أر من نسبها للشاطبيّ غيره، إلّا صاحب «هدية العارفين» فلعله تابعه في هذا، والله أعلم[٣].

«ومن منظوماته قوله مجيباً أبا الحسن علي بن عبد الغني الحصري[٤] عن أبياته الدالية:

---

(١) «نفح الطيب»: ٢/ ٢٣٤.
(٢) «معجم الأدباء»: ١٦/ ٢٩٤.
(٣) «كشف الظنون» ١/ ٣٤٣، و «هدية العارفين»: ١/ ٨٢٨.
(٤) مقرئ شاعر مشهور، كان ضريراً، من أهل القيروان. انتقل إلى الأندلس ومات في طنجة سنة ٤٨٨هـ. «الأعلام»: ٤/ ٣٠١ ـ ٣٠٢، و «غاية النهاية»، ١/ ٥٥١.

أسـائـلـكـم يـا مـقـرئـي الـغـرب كـلـه
ومـا مـن سـؤال الـحـبـر عـن عـلـمـه بُـدُّ
بـحـرفـيـن، مَـدُّوا ذا ومـا الأصـلُ مـده
وذا لـم يـمـدوه ومِـنْ أصـلـهِ الـمـد
وقـد جُـمـعـا فـي كـلـمـةٍ مُـسْـتَـبـيـنـة
على بعضكمْ تَخْفَى ومن بعضكم تبدو
فأجابه أبو محمد[١] هذا عنها بقوله:
عـجـبتُ لأهـل الـقـيـروانِ[٢] ومـا حـدُّوا
لذي قَصْرِ «سوءت»[٣] وفي همزها مدُّوا
لـورشٍ ومـدُّ الـلـيـنِ لـلـهـمـز أَصْـلُـهُ
سوى مَشْرعِ الـثُّنْيَا إذا عَـذُبَ الـوِرْدُ[٤]
ومـا بـعـد هـمـزٍ حـرفُ مـدّ يـمـده
سـوى مـا سـكـونٌ قـبـلـه مـا لـه بـد
وفـي هـمـزِ سـوءاتٍ يُـمَـدّ وقـبـلـه
سـكـونٌ بـلا مـدٍّ فـمـن أيـن ذا الـمـد

(١) أي الإمام الشاطبيّ.
(٢) أي الحصريّ المذكور.
(٣) أي قوله تعالى: ﴿سَوْءَاتِكُمْ﴾ [الأعراف: ٢٦]، وكقوله تعالى: ﴿مِن سَوْءَاتِهِمَا﴾ [الأعراف: ٢٠].
(٤) قال الأستاذ إبراهيم عَطْوَة عوض في حاشية «إبراز المعاني»: ١٢٦ ما نصّه: «وقوله: سوى مَشْرع الثُّنْيا: أي موضع الاستثناء من «الموْءودة» و «موئلاً». فالثُّنيا هنا يعني الاستثناء كما في «ترتيب القاموس»: (ث ن ي).

يقولون عينُ الجمع[١] فَرْعُ سكونِها
فذو القصرِ بالتحريك الأَصليِّ يعتد[٢]
ويوجبُ مدّ الهمز هذا بعينه
لأن الذي بعد المحرَّك ممتد
ولولا لزومُ الواوِ قلباً لحركت
بجمعٍ بفعلاتٍ في الاسما له عقد

(١) أي: حرف الواو من قوله تعالى: «سَوْءَات» وهو الجمع المقصود.

(٢) أي: إنَّ الذي قصر مدّ اللين من «سَوْءَات» اعتدّ بأن الأصل في جمع سَوْءات تحريك الواو وإنما سكنت عَرَضاً فقصر من أجل هذا. وهأنذا آتي بكلام نفيس لأبي شامة ـ رحمه الله تعالى ـ يكون كالشرح لكلام الشاطبيّ؛ إذ قال عند قول الشاطبي في «حرز الأماني»: «وفي واو سَوْءات خلاف لورشهم» قال: «هذا الخلاف هو سقوط المدِّ والمدُّ؛ فإن قلنا بالمد كان على الوجهين في طوله وتوسطه، فوجه المد ظاهر. ووجه تركه النظر إلى أصل ما تستحقه هذه الواو وهو الفتح، لأن ما وزنه (فَعْله) بسكون العين جمعه (فَعَلات) بفتحها كتمَرات وجفَنات، وأُسكن حرف العلة تخفيفاً... فإن قلت: كيف يمد ما بعد الهمزة في «سَوْءَات» وقبل الهمز ساكن وليس من أصل ورش مد ذلك كما تقدم [أي عند قول الشاطبيّ سوى ياء إسرائيل أو بعد ساكن صحيح كقرآن ومسؤولاً اسألا] قلت: لأن الواو حرف علة والمانع هو الساكن الصحيح، على أن الواو وإن كانت ساكنة لفظاً فهي متحركة تقديراً على ما بينّاه، فلوحظ الأصل في ترك مدّها في نفسها وفي مدِّ ما بعد الهمزة، فالعلّة واحدة والحكم مختلف فيهما، ولهذا ألغز الحصريّ هذه الكلمة في أبيات له قد ذكرناها والجواب عنها من نظم جماعة من المشايخ في «الشرح الكبير» ا هـ. «إبراز المعاني» ١٢٥ ـ ١٢٦.

وقال الشيخ الضبّاع: «والقول الحق الذي لا يصح الأخذ بخلافه: إن الخلاف في هذه الكلمة [سَوْءات] دائر بين القصر، والتوسط؛ لأن مَن لهم مدّ اللين مجمعون على استثناء واو «سَوْءات»، ومن يوسط «سَوْءَات» يوسط البدل فيتأتّى فيها أربعة أوجه لا غير وهي: قصر الواو مع تثليث الهمز ثم توسيطهما» ا.هـ.

«إرشاد المريد إلى مقصود القصيد»: ٥٥. والمقصود بتثليث الهمز أي القصر والتوسط والطول في مد البدل، والمقصود بتوسيطهما: المد في اللين، والبدل.

وتـحـريـكـهـا والـيـا هـذيـل وإن فـشـا
ولـيـس لـه فـيـمـا روى قـارئٌ عـد

ولـلـحُـصَـري نـظـمُ الـسـؤال بـهـا وكـم
عـلـيـه ٱعـتـراضٌ حـيـن فـارقـه الـجِـدُّ

ومـن يَـعْـنِ وَجْـهَ اللهِ بـالـعـلـم فـلْـيُـعِـنْ
عـلـيـه وإن عـنَّـى بـه خـانَـه الـجَـدُّ

وممن أجاب الحصريَّ عن أبياته المسطورة قبلُ المقرئُ أبو إسحاق إبراهيم بن طلحة الشاعر المعروف بابن الحداد»[١].

«ومن منظومات أبي محمد قوله في ترتيب حروف «الأفعال»[٢] لأبي بكر بن القوطية[٣]:

---

(١) «الذيل والتكملة»: ٥/ ٢/ ٥٥١ ـ ٥٥٢.

(٢) لقد قسم ابن القوطية ـ رحمه الله تعالى ـ كتابه إلى ثلاثة أقسام: «الأول لِما فيه (فعل) و (أفعل) والثاني لما فيه (أفعل) وحدها، والثالث لما فيه (فعل) وحدها، وجعل القسم الأول وحده في شطرين، أولهما الصيغتان بمعنى واحد، والثاني: لما اختلف معناهما فيه، وقسم كل قسم منهما وفقاً للحروف العربية على الترتيب التالي: أ هـ ع غ خ ح ج ق ك س ش ص ض ل ر ن ط ظ ذ د ب ت ث ز ف م و ي، ووضع تحت كل حرف الألفاظ التي أولها ذلك الحرف. . . .»
«المعجم العربي»: ١٤٥ وما بعدها. وبالنظر إلى الأبيات التي أتى بها الشاطبيّ ـ رحمه الله تعالى ـ نجدها متسقة مع الأحرف الواردة آنفاً في الترتيب إلّا في موضعين:
أول كلمة في الأبيات: (لسير) وثاني كلمة في البيت الثاني وهي: (مدير)، ويمكن أن تكون الكلمة الأولى قد تحرّفت من: (أسير) والثانية من (صرير) فتستقيم الأبيات.
وقد صححتها في المتن تبعاً لهذا. وهذه الأحرف التي أتى بها هي على ترتيب المخارج: الحلق، اللسان، الشفتان، وتشابه ترتيب الخليل رحمه الله.

(٣) محمد بن عمر بن عبد العزيز، مؤرخ، من أعلم أهل زمانه باللغة والأدب، أصله من إشبيلية، ومولده ووفاته بقرطبة سنة ٣٦٧هـ. «الأعلام»: ٦/ ٣١١ ـ ٣١٢.

أسير هجرِ عَمِيدٍ[١] غُمْضُهُ[٢] خُلَسٌ[٣]

حَوَى جَوًى[٤] قَلْبُهُ كِتمانُهُ سَرَفُ[٥]

شَجٍ[٦] صرير ضَريكٍ[٧] للنَّوى[٨] رَمِضٌ[٩]

نَشوان[١٠] طب[١١] ظباءٍ ذَاهل دَنِفُ[١٢]

بُعاده تَرَحٌ[١٣] ثُواؤه[١٤] زَلَهٌ[١٥]

فؤاده مستهامٌ[١٦] وامق[١٧] يَجِفُ[١٨]

---

(١) الرجل العميد: المشغوف الذي هدّه العشق وكسره. «تاج العروس»: (ع م د).
(٢) الغُمْض: النوم. «ترتيب القاموس»: (غ م ض).
(٣) الخُلَس: جمع خُلْسة، وهي الفرصة، يقال: هذه خُلسة فانتهزها، فكأن النوم لا يأتيه إلا قليلاً كهيئة الفرصة. انظر «تاج العروس»: (خ ل س).
(٤) الجَوى: الهوى الباطن والحزن والحُرقة وشدّة الوَجْد. «ترتيب القاموس»: (ج و ى).
(٥) السَّرَف هنا بمعنى الخطأ. انظر المصدر السابق: (س ر ف).
(٦) الشجي: المشغول. المصدر السابق. (ش ج و).
(٧) الضَّرِيك: الزَّمِن (المريض). المصدر السابق. (ض ر ك).
(٨) التحول من دار إلى أخرى، المقصود الفراق. انظر المصدر السابق. (نوى).
(٩) اشتد حرُّه. المصدر السابق. (رمض).
(١٠) سكران، المصدر السابق. (ن ش و).
(١١) الماهر الحاذق بعمله. المصدر السابق: (طبب).
(١٢) مريض.
(١٣) التَّرَح: الهمُّ، المصدر السابق (ت ر ح).
(١٤) الإِقامة، المصدر السابق: (ثوى).
(١٥) الغمُّ والهمّ. المصدر السابق: (ز ل هـ).
(١٦) القلب المستهام: القلب الهائم وهو المحب المتحيِّر. المصدر السابق (هـ يَ م).
(١٧) مُحِب. المصدر السابق: (و م ق).
(١٨) يضطرب. المصدر السابق: (و ج ف).

إلى غير ذلك ممّا برز فيه وأعرب عن إجادته»[١].

قال ابن قُتيبة[٢] في كتاب «الشعراء» إنّما سُمِّيَ عبدُ الله ابن قيس ـ أحد بني عامر بن لؤيّ ـ الرُّقيَّاتِ لأنه كان يُشّببُ بثلاث نسوة يقال لهن كلهن رُقيّة.

وكذا في «الأغاني».

ورأيت بخط الحافظ مُغَلْطَاي[٣] على هامش «كامل» المبرد[٤] ما نصّه:

«ونقلت من خط الشاطبيّ: وافق الأصمعيّ[٥] ابن قتيبة على قوله؛ فعلى هذا يُقال: عبد الله بن قيس الرُّقيّاتُ بالرفع على الصفة لعبد الله. انتهى.

وذكر النحاس[٦] عن البَرْقي[٧] أنّ في أجداده ثلاثَ نسوة كل امرأة منهن تسمّى رُقية، فعلى هذا يقال: عبد الله بن قيس الرُّقياتِ على الإضافة. قال ابن بَرِّيّ[٨].

---

(١) «الذيل والتكملة»: ٥/ ٢/ ٥٥٦.

(٢) عبد الله بن مسلم بن قُتيبة الدِّينَوَرِيّ، أبو محمد، من أئمة الأدب، ولد ببغداد وسكن الكوفة، توفي ببغداد سنة ٢٧٦هـ. «الأعلام» ٤/ ١٣٧.

(٣) مُغَلْطاي بن قليج بن عبد الله البكجريّ المصريّ الحنفيّ، أبو عبد الله، علاء الدين: مؤرخ، عارف بالأنساب، من حفاظ الحديث. «الأعلام»: ٧/ ٢٧٥.

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) عبد الملك بن قُريب بن علي بن أصمع الباهليّ، أبو سعيد الأصمعيّ، راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان. مولده ووفاته بالبصرة. كان كثير التطواف في البوادي، يقتبس علومها ويتلقى أخبارها. توفي ٢١٦هـ. «الأعلام» ٤/ ١٦٢.

(٦) أحمد بن محمد بن إسماعيل المراديّ المصريّ، أبو جعفر النحّاس، مفسر، أديب، ولد بمصر، وتوفي بها سنة ٣٣٨ «الأعلام»: ١/ ٢٠٨.

(٧) لعلّه: أحمد بن محمد بن خالد، أبو جعفر البَرْقيّ، باحث إماميّ من أهل برقة مِن قرى قُم، أصله من الكوفة. توفي سنة ٢٧٤هـ «الأعلام»: ١/ ٢٠٥.

(٨) سبقت ترجمته.

ونقلت من خط الشاطبيّ أيضاً: رأيت بعض من ألّف في النسب يقول: إن الذي يسمّى «ابنَ الرقيات» هو قيس أبو عُبيدِ الله وعبدِ الله. انتهى»[١]

وفي موضع آخر تكلم صاحب «خزانة الأدب» على فعل «أقبل» من أحد الشواهد التي أوردها وهي:

فَـلأَبـغِـيَـنّـكُـمُ قَـنًـا وعُـوارِضـاً
ولأُقـبِـلـن الـخـيـلَ لَابَـةَ ضَـرْغَـدِ[٢]

ثم ذكر أن فعل: (ولأُقبلن) فيه قولان: أحدهما: أنه فعل لازم يتعدّى بحرف الجرّ، والأصل: لأُقبلنّ الخيل إلى «لابة ضرعد».

والقول الثاني: إنَّ أقبل هنا متعدٍّ بمعنى: لأجعلن الخيلَ تقابل فهو متعدٍّ إلى مفعوليه، وذكر أن هذا هو المعروف في اللغة؛ فإن قَبَل بدون همزة يتعدَّى إلى مفعول واحد بمعنى استقبل، وأقبل بالهمز يتعدّى إلى مفعولين.

ثم قال ناقلاً عن «الصحاح»: «حكى السخاويّ في «سفر السعادة» عن شيخه الإِمام الشاطبيّ: أقبلته الرمحَ إذا جعلته قِبَله»[٣].

---

(١) «خزانة الأدب»: ٧/ ٢٨١ ـ ٢٨٢.

(٢) فسر المصنِّف المعاني السابقة: فلأبغِينكم: فلأطلبنّكم، قناً وعُوارضاً: جبلان، واللّابة: الحرّة، وضَرْغد: موضع.

(٣) انظر «خزانة الأدب»: ٣/ ٧٤ ـ ٧٨.

أخبار متناثرة عن حياته

قال جمال الدين أبو الحسن القِفْطيّ[١]:

[١] قرأ القرآن، وتعلم النحو واللغة، وتفنن في قراءة القرآن والقراءات وهو حَدَث، وقرأ الناس عليه في بلده، واستفادوا منه قبل سن التكهُّل»[٢].

وقال أيضاً: «استوطن مصر، وتصدر في جامع عمرو بن العاص للإِقراء والإِفادة، وتزوج إلى قوم يعرفون ببني الحِميريّ.

[٢] ثم نقله الفاضل عبد الرحيم بن علي البَيْسانيّ إلى مدرسته التي أنشأها بالمُعِزِّيّة القاهرة، وأفرد له فيها حجرة لطيفة مُرخَّمة على يسار الداخل من الباب، وكان مقيماً بها للإِقراء والإِفادة، وأفرد لأهله داراً أخرى خارج المدرسة، ولم يزل على ذلك إلى حين وفاته، رحمه الله»[٣].

(١) علي بن يوسف بن إبراهيم الشيبانيّ. وزير، مؤرخ، كاتب. ولد بقِفط من صعيد مصر الأعلى، وسكن حلباً فولي بها القضاء في أيام الملك الظاهر، ثم الوزارة في أيام الملك العزيز. وكانت مكتبته تساوي خمسين ألف دينار لا يحبُّ من الدنيا سواها، ولم يكن له دار ولا زوجه. توفي سنة ٦٤٦. «الأعلام»: ٥/ ٣٣.

(٢) «إنباه الرواة على أنباه النحاة»: ٤/ ١٦٠.

(٣) «إنباه الرواة» ٤/ ١٦١.

ومن متفرقات أخباره ما ذكره قائلاً:

[١] «وكان من جلة أئمة المقرئين، كثير المحفوظات، جامعاً لفنون العلم بالتفسير، محدثاً راوية ثقة، فقيهاً مستبحراً، متحققاً بالعربية مبرزاً فيها، بارع الأدب شاعراً مُجيداً، عارفاً بالرؤيا وعبارتها، ديِّناً فاضلاً صالحاً، مراقباً لأحواله، حسن القصد، مخلصاً في أفعاله وأقواله.

[٢] جرت مسألة فقهية بمحضره فذكر فيها نصاً واستحضر كتاباً فقال لهم: اطلبوها منه في مقدار كذا وكذا، وما زال يعين لهم موضعها حتى وجدوها حيث ذكر، فقالوا له: أتحفظ الفقه؟ فقال لهم: إني أحفظ وِقْرَ جَمَلٍ من كتب، فقيل له: هلّا درّستها؟ فقال: ليس للعميان إلا القرآن.

[١] وقال صهره أبو الحسن علي بن سالم بن شجاع ـ وكان أيضاً ضريراً وأخذ القراءات عنه ـ «أردت مرّة أن أقرأ شيئاً من الأصول على ابن الورّاق، فسمع بذلك فاستدعاني، فحضرت بين يديه، فأخذ بأذني ثمّ قال لي: أتقرأ الأصول؟ فقلت: نعم، فمد بأذني ثم قال لي: من الفضول، أعمى يقرأ الأصول»[١].

---

(١) «الذيل والتكملة»: ٥/ ٢/ ٥٤٩ ـ ٥٥٠.

كراماته وورعه

ومن أخبار كراماته الدالّة على ثقته بالله ـ تبارك وتعالى ـ وعلى سعة صدره، ما ذكره تلميذه علم الدين السخاويّ بقوله: «قال لي يوماً: جرت بيني وبين الشيطان مخاطبة فقال: فعلتَ كذا فسأهلكك، فقلت: والله ما أبالي بك.

وقال لي يوماً: كنت في طريق وتخلّف عني من كان معي وأنا على الدابّة، وأقبل اثنان، فسبني أحدهما سبّاً قبيحاً، فأقبلت على الاستعاذة وبقي كذلك ما شاء الله، ثم قال له الآخر: دَعْه، وفي تلك الحالة لحقني من كان معي فأخبرته بذلك، فطلب يميناً وشمالاً فلم يجد أحداً»(١).

[١] وقال أبو شامة ـ رحمه الله ـ مخبراً عن ورعه: «أخبرني شيخنا أبو الحسن علي بن محمد [السخاويّ] ـ رحمه الله ـ أن سبب انتقاله إلى الديار المصريّة، أنه أُريد أن يتولى الخطابة بها ـ أي في شاطبة ـ فاحتجّ بأنه قد وجب عليه الحجّ وأنه عازم عليه، فتركها ولم يرجع إليها تورّعاً مما كان يلزمون به الخطباء من ذكرهم على المنابر بأوصاف لم يرها سائغة شرعاً، وصبر على فقر شديد... ثم قدم القاهرة فطلبه القاضي الفاضل للإقراء بمدرسته، فأجاب بعد شروط اشترطها عليه على ما كان فيه من الفقر»(٢).

---

(١) «نَكْتُ الهِمْيان»: ٢٢٩.

(٢) «ذيل الروضتين»: ٧.

[٢] وقال أبو شامة أيضاً: «قال لي الشيخ أبو الحسن: سمعته وقد جاءه رجل يودعه؛ والرجل عازم على المسير إلى القدس، فقال: ذكر الله عنّا ذلك الموضع بخير، قال: لا أعلم موضعاً أقرب إلى السماء منه بعد مكة والمدينة» قال الشيخ: فعلمت: أنَّه رُزق ثَمَّ قَبولاً»(١)

«توفي بالقاهرة بعد صلاة العصر من يوم الأحد لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة تسعين وخمسمائة، ودفن من الغد بمقبرة البيساني، وتعرف تلك الناحية بـ «سارية» وهي بسفح المقطم ـ جبل متصل بمصر له في حفظ أجساد الموتى خاصة عجيبة ـ وصلى عليه أبو إسحاق المعروف بـ «العراقي» إمامِ جامع مصر حينئذ، وكانت جنازته مشهودة لم يتخلف عنها كبير أحد، وأسف الناس لفقده وأتبعوه ذكراً جميلاً وثناء صالحاً وكان أهْلَه، رحمة الله عليه»(٢).

---

(١) المصدر السابق.

(٢) «الذيل والتكملة» ٥/ ٢/ ٥٥٦.

فهرس المصادر والمراجع

١ـ القرآن الكريم.

٢ـ إبراز المعاني من حرز الأماني. تأليف الإمام عبد الرحمن بن إسماعيل أبو شامة المقدسيّ. تحقيق: إبراهيم عطوة عوض. طبعة مصطفى البابي الحلبي. مصر.

٣ـ الأدب المفرد للإمام البخاريّ، ومعه: فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد. تأليف الأستاذ فضل الله الجيلانيّ. طبعة مكتبة المدني. مصر ١٤٠٢.

٤ـ إرشاد المريد إلى مقصود القصيد، الأستاذ الشيخ علي محمد الضبّاع، طبعة مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح. مصر.

٥ـ الأعلام. تأليف الأستاذ خير الدين الزِّرِكلي. طبعة دار العلم للملايين. بيروت. الطبعة الخامسة، ١٩٨٠.

٦ـ إنباه الرُّواة على أنباه النحاة. تأليف العلّامة جمال الدين القِفطيّ. تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم. نشر دار الفكر العربيّ: القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية: بيروت. الطبعة الأولى: ١٤٠٦.

٧ـ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع. الإمام الشوكانيّ. طبعة دار المعرفة. بيروت.

٨ـ تاج العروس من جواهر القاموس. السيد محمد مرتضى الزبيدي. تحقيق مجموعة من الأساتذة. طبعة حكومة الكويت.

٩ـ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذيّ. الإمام محمد المباركفوريّ. ضبط عبد الرحمن عثمان. طبعة دار الفكر. بيروت.

١٠ـ ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة. الأستاذ الطاهر أحمد الزّاوي. نشر دار الكتب العلمية: ١٣٩٩.

١١ـ جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، لابن عبد البَر النّمري، مراجعة عبد الرحمن محمود، دار الكتب الحديثة. القاهرة.

١٢ـ الجامع الصحيح للإِمام البخاري. تحقيق الأستاذ أحمد شاكر. نشر دار الجيل. بيروت.

١٣ـ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع. الأستاذ أحمد الهاشمي. نشر دار الفكر. بيروت ١٣٩٨هـ.

١٤ـ خزانة الأدب ولبّ لُباب لسان العرب. الشيخ عبد القادر بن عمر البغداديّ. تحقيق وشرح الأستاذ عبد السلام هارون. نشر مكتبة الخانجي. القاهرة. الطبعة الأولى: ١٤٠٦.

١٥ـ الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب. الشيخ ابن فرحون المالكيّ. تحقيق د. محمد الأحمدي أبو النور. نشر دار التراث. القاهرة.

١٦ـ الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة. تأليف أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسيّ المرّاكشِيّ. تحقيق د. إحسان عباس. نشر وتوزيع دار الثقافة. بيروت.

١٧ـ الذيل على الرّوضتين أو تراجم رجال القرنين: السادس والسابع للإِمام شهاب الدين أبي شامة المقدسي. تحقيق الأستاذ محمد زاهد الكوثريّ. نشر دار الجيل. بيروت.

١٨ـ سنن ابن ماجه. تحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي. نشر دار الحديث. القاهرة.

١٩ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب. الشيخ عبد الحي ابن العماد الحنبليّ. نشر دار الفكر. بيروت.

٢٠ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. الحافظ شمس الدين السخاويّ. نشر دار مكتبة الحياة. بيروت.

٢١ـ ضياء السّالك إلى أوضح المسالك. تأليف الأستاذ محمد عبد العزيز النجّار. توزيع ورثة المؤلف. القاهرة.

٢٢ـ طبقات المفسرين. الحافظ شمس الدين محمد بن علي الداوديّ. نشر دار الكتب العلمية. بيروت.

٢٣ـ العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين. الإِمام تقيّ الدين محمد بن أحمد الفاسيّ المكي. تحقيق فؤاد سيّد. مطبعة السنة المحمديّة. القاهرة ١٣٨٣.

٢٤ـ عون المعبود شرح سنن أبي داود. العلامة أبو الطيب محمد العظيم آباديّ. تحقيق عبد الرحمن عثمان. نشر دار الفكر. بيروت. الطبعة الثالثة ١٣٩٩.

٢٥ـ غاية النهاية في طبقات القراء. الإمام شمس الدين محمد ابن محمد الجزريّ. نشر برجستراسر. نشر دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الثانية ١٤٠٠.

٢٦ـ كشف الأستار عن زوائد البزّار على الكتب الستة. تأليف الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثميّ. تحقيق الشيخ المحدث حبيب الرحمن الأعظميّ. نشر مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى ١٤٠٥.

٢٧ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. تأليف مصطفى بن عبد الله الشهير بـ «حاجي خليفة» نشر دار العلوم الحديثة. بيروت.

٢٨ـ الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة. الشيخ نجم الدين الغزّي. تحقيق د. جبرائيل جبور. نشر دار الآفاق الجديدة. بيروت. الطبعة الثانية ١٩٧٩م.

٢٩ـ لطائف الإشارات إلى فنون القراءات. الإمام شهاب الدين أحمد القسطلاني. تحقيق الشيخ عامر السيد عثمان والدكتور عبد الصبور شاهين. نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. القاهرة ١٣٩٢.

٣٠ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. الحافظ نور الدين الهيثميّ. نشر مؤسسة المعارف. بيروت ١٤٠٦.

٣١ـ معجم الأدباء. ياقوت الحمويّ. دار الفكر. بيروت. الطبعة الثالثة ١٤٠٠.

٣٢ـ المعجم العربيّ: نشأته وتطوّره. د. حسين نصّار. مكتبة مصر ١٤٠٨.

٣٣ـ معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار. الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبيّ. تحقيق الأساتذة بشار معروف وشعيب الأرناؤوط وصالح عبّاس. مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى ١٤٠٤.

٣٤ـ النحو الوافي. الأستاذ عباس حسن. دار المعارف. مصر. الطبعة الثالثة.

٣٥ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب. الشيخ أحمد المقّريّ التلمسانيّ. تحقيق الأستاذ يوسف البقاعيّ. دار الفكر. بيروت. الطبعة الأولى ١٤٠٦.

٣٦ـ نَكْت الهِميان في نُكت العميان. الشيخ صلاح الدين خليل بن أيْبك الصفدي. باعتناء العلّامة أحمد زكي باشا. توزيع مكتبة التوعية الإِسلامية لإِحياء التراث الإِسلاميّ.

٣٧ـ النور السافر عن أخبار القرن العاشر. تأليف الشيخ محيي الدين العيدروسيّ.

٣٨ـ هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين. إسماعيل باشا البغدادي. نشر دار العلوم الحديثة. بيروت.

٣٩ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان. شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خَلِّكان. تحقيق د. إحسان عباس. نشر دار الثّقافة. بيروت.

فهرس الفوائد

طريقة الكشف في فهرس الفوائد هذا هي أن يُنظر للرقم المذكور بجوار الفائدة، فالرقم الأول هو رقم الصفحة والذي يتلوه هو رقم الفقرة في الصفحة؛ فمثلاً:

ورعه: ١٠١/ ١.

فبالرجوع إلى صفحة ١٠١ وإلى الفقرة الأولى فيها يتمكن القارئ من الاطلاع على صفة الورع، وهكذا...

*** من صفات الإِمام الشاطبيّ ـ رحمه الله تعالى ـ الخُلُقيّة:**